التبر المسبوك

في

نصيحة الملوك

« لحجة الاسلام الامام محمد بن محمد »

أبي حامد الغزالي

(المتوفى سنة ٥٠٥ هجريه)

« عربه عن الفارسية الي العربية أحد تلامذته »

« جاء في كشف الظنون صحيفة ٢٤٣ من الجزء الاول ما نصه بالحرف الواحد »
(التبر المسبوك فى نصائح الملوك)
« فارسي للامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ ألفه »
« للسلطان محمد بن ملك شاه السلجوقى ثم عربه بعضهم ونقله محمد بن »
« على المعروف بعاشق جابى الى التركيــة ونقله أيضاً علائى بن محمد »
« الشريف الشيرازى لسنان بك من اتباع بايزيد بن السلطان سليمان »
« خان وسماه نتيجة السلوك وهو على مقدمة أورد فيها نصائح الغزالى »
« لمحمد بن ملك شاه ومقالتين وسبعة ابواب وفي هذا المترجم الحاقات »
« كثيرة ونقله أيضاً المولى محمد بن عبد العزيز المعروف بوجودي »
« المتوفي سنة ألف وعشرين اه بحروفه »

طبع في مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على انعامه وافضاله * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وأصحابه وآله *
(وبعد) فانه سألني بعض المتقدمين من الكبراء أن أنقل هذا الكتاب وهو كتاب نصيحة الملوك من اللغة الفارسية الى الالفاظ العربية * فامتثلت ذلك ونقلته على ترتيبه وصورته * ولم أغير شيأ من وضع الكتاب وصفته * واجتهدت فى تسهيل عباراته . وايضاح اشاراته * قصداً لمستعمل الكلام *ليكون أقرب للافهام * بقدر ما بلغته بلاغته وأفصحت عنه فصاحته * وترجمت عما استشهد به مؤلف الكتاب من الاخبار والاشعار الفارسية * بأشعار من العربية* اشارة الى معانيها * وتلويحاً الى مقاصدها ومغازيها * وأنا أعتذر عن تقصيري بفضلهم غاية الاعتذار اذ لم أكن من فرسان هذا المضمار * فليتجاوز عن تقصيري الكرماء* وليصفح لى عن نقصه بفضلهم العلماء* ومن وجد في كلامه خللا فستره * أو أصاب زللا فغيره * حاز بذلك جزيل الاجر * وجميل الذكر . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

قال الشيخ الامام العالم العارف زين الدين حجة الاسلام شرف الائمة أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله وهو يخاطب السلطان محمد ابن ملك شاه رحمه الله

اعلم ياسلطان العالم ملك الشرق والغرب أن لله عليك نعما ظاهرة * وآلاء متكاثرة * يجب عليك شكرها * ويتعين عليك اذاعتها ونشرها * ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه * وتقدست أسماؤه * فقد عرض تلك النعمة للزوال وخجل من تقصيره يوم القيامة * وكل نعمة تفني بالموت فليس لها عند العاقل قدر * ولا عند اللبيب خطر . لان العمر وان تطاولت مدده *

لا ينفع طوله اذا انقضى عدده * فان نوحا عليه السلام عاش ألف سنة ونيفاً ومن موته الي الآن خمسة آلاف سنة وكأنه لم يكن فالقدر للنعمة التى تبقى على الدوام * وتدوم مدي الليالى والايام * وهى نعمة الايمان الذى هو بذر السعادة المؤبدة * والنعمة المخلدة * والله جلت قدرته وعلت كلمته وآلاؤه قد خوّلك بهذه النعمة وزرع بذر الايمان في صفاء صدرك * وأودعه فى قلبك وسرك * ومكنك من تربية ذلك البذر وأمرك أن تسقيه ماء الطاعة حتي تصيرشجرة أصلها فى قعر الارض السفلى * وفرعها في السموات العلى * كما قال عز من قائل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء) واذا لم يثبت أصل الشجرة بالايمان ولم يكمل فرعها يخاف عليها من هبوب رياح الموت * وعواصف الفوت * فتنقلع عند النفس الاخير فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان * ويلقى ربه بغير احسان

واعلم أيها الملك أن لهذه الشجرة عشرة أصول وعشرة فروع * فأصلها الاعتقاد بالجنان * وفرعها العمل بالاركان * ولما صادف القبول من المجلس العالي شرح هذه العشرة أصول والعشرة فروع ليشتغل سلطان العالم بتربية هذه الشجرة وانما يصح له ذلك اذا أفرد يوما من أيام الاسبوع لعبادة ربه والاشتغال فيه بعمل الآخرة وهو يوم الجمعة فانه عيد المؤمنين وفيه ساعة شريفة كل من سأل الله تعالي فيها حاجة بنية حاضرة * وسريرة طاهرة * فانه جل ذكره يقضى حاجته * ولا يخيب دعوته * وما ذا عليك اذا أفردت من سبعة أيام يوماً واحداً لخدمة ربك فانه في المثل لو كان لك عبد وأمرته أن يشتغل في كل أسبوع يوماً واحداً بخدمتك ليتأهب له مع تقصيره فى الايام الستة بخالفك ذلك العبد كيف يكون حاله عندك مع ان العبد لست بخالقه

وانما هو عبدلك مجازا
وأنت أيها الملك عبد مخلوق للخالق تعالي وعبده على الحقيقة فلم ترضى من نفسك مالا ترضاه من عبدك

فانو الصيام من ليلة الجمعة وان أضفت اليه الخميس كان أولي * وقم يوم الجمعة صبحاً واغتسل والبس من الثياب ماله ثلاث صفات * أن يكون حلالا وأن لا يكون ابريسماً * وأن يكون مما تجوز فيه الصلاة *فى الصيف الدبيق والقصب والكتان والتوزرى * وفى الشتاء الخز والصوف الرومي وكل ثوب على غير هذه الصفة فان الله تعالى لا يرضاه * وصل الصبح فى جماعة ولا تتكلم الى أن تطلع الشمس ولا تحول وجهك عن القبلة * وخذ السبحة فى يدك وقل لااله الا الله محمد رسول الله ألف مرة فاذا طلعت الشمس فأمر قارئاً يقرأ عليك هذا الكتاب وكذلك فليقرأ عليك في كل جمعة ليحصل في محفوظتك فاذا فرغ القاريء من قراءة الكتاب فصل أربع ركعات وسبح الي وقت الضحى فان ثواب هذه الصلاة عظيم وخاصة يوم الجمعة

وبعد ذلك اذا كنت على تخت الاسلام أو كنت فى الخلوة فقل اللهم صل على محمدوعلى آل محمد متواترا ومهما قدرت أن تتصدق به فى هذا اليوم فتصدق واجعل هذا اليوم الواحد من أيام الاسبوع لله ليجعل الله باقى الاسبوع مكفراً عنك

﴿ ابتداء قاعدة الاعتقاد الذى هو أصل الايمان ﴾ .

اعلم ايها السلطان انك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع مافى العالم . وانه واحد لاشريك له . فرد لامثل له . كان في الازل وليس لكونه

زوال . ويكون مع الأبد وليس لبقائه فناء.وجوده في الابد والازل واجب وما للعدم اليه سبيل . وهو موجود بذاته . وكل احد محتاج اليه وليس له الي احد احتياج وجوده به ووجود كل شئ به

﴿ الاصل الثانى فى تنزيه الخالق تعالى ﴾

اعلم ان البارىء تعالى ذكره ليس له صورة ولا مثل وانه لاينزل ولا يحل في قالب . وانه تعالي منزه عن الكيف والكم . وعن لماذا وكم.وانه لا يشبه شيأ ولا يشبهه شيء . وكلما يخطر فى الوهم والخيال والفكر من التخييل والتمثيل والتكييف فانه منزه عن ذلك لان ذلك من صفات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف بها . وأنه تعالى جده ليس فى مكان ولا على مكان فان المكان لايحصره . وكل مافى العالم فانه تحت عرشه . وعرشه تحت قدرته وتسخيره . وانه قبل العرش كان منزها عن المكان . وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته . واستواؤه على العرش كما قال وعلى الوجه الذي قال وبالمعني الذى اراد استواء منزها عن الاستقرار والمماسة والتمكن والحلول والانتقال . وهو سبحانه فوق العرش وفوق كل شيء الي تخوم الثري وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب الى البعيد والقريب من حبل الوريد . وهو على كل شيء قدير وشهيد . فعال لما يريد لايزال في نعوت الجمال . وصفات الجلال . منزها عن الزوال والانتقال . مستغنيا عن زيادة الاستكمال . وانه منزه عن الحاجة الي المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه العرش . وانه متصف بالصفة التى كان عليها في الأزل . ولا سبيل الى التغير والانقلاب الى صفاته . وهو سبحانه مقدس

عن صفات المخلوقين ومنزه عنهم . وهو فى الدنيا معلوم وفى الآخرة مرئي كما نعلمه فى الدنيا بلا مثل ولا شبه لان تلك الرؤية لاتشابه رؤية الدنيا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

﴿ الاصل الثالث فى القدرة ﴾

وانه تعالى على كل شيء قدير وملكه في نهاية الكمال ولا سبيل الى العجز والنقصان بل ماشاء فعل وما يشاء يفعل . وان السموات السبع والارضين السبع والكرسي والعرش فى قبضة قدرته وتحت قهره وتسخيره ومشيئته هو مالك الملك لاملك الا ملكه تعالي عما يقول الظالمون علوا كبيرا

﴿ الاصل الرابع فى العلم ﴾

وانه تعالى عالم بكل معلوم وعلمه محيط بكل شيء فليس شيء فى الملا الى الثرى الا قد أحاط به علمه لان الاشياء جميعها بعلمه ظهرت وبارادته خلقها وبقدرته كونها وأنه تعالى يعلم عدة رمال القفار . وقطرات الامطار . وورق الاشجار . وغوامض الافكار . وما دارت عليه الرياح والهواء فى علمه ظاهر مثل عدد نجوم السماء . وان جميع مافى العالم بارادته ومشيئته وليس شيء من قليل أو كثير صغير أو كبير . خير أو شر . نفع أو ضر زيادة أو نقصان . راحة أو تعب . صحة أو وصب . الا بحكمه وتدبيره . ومشيئته وتقديره . لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها أو ينقصوا منها أو يزيدوا فيها بغير ارادته وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا وما شاء الله كان وما لايشاء لايكون ولا ترد مشيئته

ومهما كان ويكون أو هو كائن فانه بتدبيره . وأمره وتسخيره

الاصل الخامس والسادس فى انه سميع بصير

وكما انه عالم بجميع المعلومات فانه سميع لكل مسموع بصير لكل منبصر وانه بسمع واحد وبصر واحد يري دبيب النملة فى الليلة المظلمة ولا يخفى عن سمعه صوت الدود تحت اطباق الارض . وان سمعه ليس باذن وبصره ليس بعين . وكما ان علمه لا يصدر عن فكرة فعله بغير آلة وعدة يقول للشيء كن فيكون

﴿ الاصل السابع في الكلام ﴾

وان أمره تعالي على جميع الخلق نافذ واجب مهما أخبر به من وعد ووعيد فانه حق وأمره كلامه . وكما أنه عالم مريد قدير سميع بصير فهو متكلم وكلامه بغير حلق ولا لسان . ولا فم ولا اسنان . والقرآن والتوراة والانجيل والزبور والكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام جميعها كلامه وكلامه صفته وكل صفاته قديمة وكما أن الكلام عند الآدمي حرف وصوت فكلام الله منزه عن الاصوات والحروف

﴿ الاصل الثامن فى أفعاله تعالي ﴾

وان جميع ما فى العالم مخلوق له تعالى وليس معه شريك ولا خالق بل هو الخالق الواحد ومهما خلقه من تعب ومرض وفقر وعجز وجهل فعدل منه ولا يمكن الظلم في أفعاله لأن الظالم هو الذ يتصرف فى ملك غيره والخالق تعالى لا يتصرف الا في ملكه وليس معه مالك سواه وكل ما يكون وهو كائن فهو ملك له وهو المالك بلا شبيه ولا شريك وليس لاحد عليه اعتراض

بلم وكيف لكن له الحكم والامر فى كل أفعاله وما لاحد غير التسليم والنظر في صنعه والرضا بقضائه

﴿ الاصل التاسع فى ذكر الآخرة ﴾

وانه تعالى خلق العالم من نوعين جسد وروح وجعل الجسد منزلا للروح لتأخذ زاداً لاخرتها من هذ العالم وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون فى الجسد فآخر تلك المدة هو أجل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان فاذا جاء الأجل فرق بين الروح والجسد واذا وضع الميت في قبره أعيدت روحه الي جسده ليجيب سؤال منكر ونكير وهما شخصان هائلان عظيمان فيسئلانه من ربك ومن نبيك فان استعجم ولم يجب عذباه وملأي قبره حيات وعقارب ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة ترد الروح الي الجسد وتنشر الصحف وتعرض الاعمال على الخلائق فينظر كل انسان فى كتابه فيرى أعماله. ويشاهد أفعاله. ويعلم مقدار طاعته ومعصيته وتوزن أعماله في ميزان الأعمال ثم يؤمر بالجواز على الصراط والصراط أدق من الشعرة وأحدّ من الشفرة فكل من كان فى هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة. وسلوك المحجة الواضحة. عبر على الصراط وجازه في راحة واستراحة. وان لم يكن على السيرة المحمودة. والاعمال الصالحة الرشيدة وعصى مولاه. واتبع هواه. فانه لايجد الطريق على الصراط ولا يهتدي الي الجواز ويقع فى جهنم. والكل يوقفون على الصراط ويسئلون عن أفعالهم فيسئل الصادقون عن صدقهم ويمتحن المراءون والمنافقون ويفضحون فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب وجماعة يحاسبون بالرفق والمسامحة. وجماعة يحاسبون بالصعوبة والمناقشة والمحاققة. ثم يسحب الكفار الي نار جهنم بحيث لايجدون خلاصاً. ويدخل

أهل الاسلام المطيعون الى الجنة ويؤمر بالعصاة الى النار . وكل من نالته شفاعة الانبياء والعلماء والاكابر عفي عنه . وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار اثمه . وعذب بقدر جرمه . ثم يدخل الجنة ان كان قد سلم معه ايمانه

الاصل العاشر في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما قدر الله تعالي هذا التقدير وجعل افعال الانسان وأحواله . واكتسابه وأعماله . منها ماهو سبب لسعادته . ومنها ماهو سبب لشقاوته . والانسان لايقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه. خلق الله تعالي بحكم فضله ورحمته . وطوله ومنته . ملائكة وبعثهم الي أشخاص قد حكم لهم بالسعادة في الازل وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأرسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة لئلا يكون للناس على الله حجة وأرسل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم آخرا وجعله بشيرا ونذيرا فأوصل نبوته الى درجة الكمال . فلم يبق للزيادة فيه مجال ولهذا جعله خاتم الانبياء فلا نبي بعده وأمر الخلائق من الانس والجن بطاعته واتباعه وجعله سيد الاولين والآخرين . وجعل أصحابه خير أصحاب الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

ذكر فروع شجرة الايمان

اعلم أيها السلطان ان كل ماكان في قلب الانسان من معرفة واعتقاد فذلك أصل الايمان وما كان جاريا على أعضائه السبعة من الطاعة والعدل فذلك فرع الايمان فاذا كان الفرع ذاويا ذابلاً دل على ضعف الاصل فانه لايثبت عند الموت وعمل البدن عنوان ايمان القلب

والاعمال التي هى فروع الايمان هى تجنب المحارم وأداء الفرائض وهما

قسمان . أحدهما بينك وبين الله تعالى مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة واجتناب شرب الشراب والعفة عن الحرام . والاخرى بينك وبين الخلق وهى العدل في الرعية والكف عن الظلم والاصل في ذلك ان تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة أمره والازدجار بزجره وما تختار ان تعتمده عبيدك فى حقك وأن تعمل فيما بينك وبين الناس ماتؤثر أن يعمل معك من سواك اذا كان غيرك السلطان وكنت من رعيته

واعلم ان ما كان بينك وبين الخالق سبحانه فان عفوه قريب * وأما مايتعلق بمظالم الناس فانه لايتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة وخطره عظيم ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك الا ملك عمل بالعدل والانصاف ليعلم كيف يطلب العدل والانصاف يوم القيامة

﴿ وأصول العدل والانصاف عشرة ﴾

﴿ الاصل الاول من ذلك ﴾

هو أن تعرف أولا قدر الولاية وتعلم خطرها فان الولاية نعمة من نعم الله عز وجل من قام بحقها نال من السعادة مالا نهاية له ولا سعادة بعده ومن قصر عن النهوض بحقها حصل فى شقاوة لا شقاوة بعدها الا الكفر بالله تعالى * والدليل على عظم قدرها * وجلالة خطرها * ماروي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال عدل السلطان يوما واحداً أحب الى الله من عبادة سبعين سنة * وقال عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم القيامة لا يبقي ظل ولا ملجأ الا ظل الله ولا يستظل بظله الا سبعة أناس . سلطان عادل في رعيته . وشاب نشأ فى عبادة ربه . ورجل يكون في السوق وقلبه في المسجد . ورجلان

تحابا فى الله. ورجل ذكر الله فى خلوته فأذري دمعه من مقلته. ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال ومال الي نفسها فقال انى أخاف الله. ورجل يتصدق سراً بيمينه ولم تشعر بها شماله * وقال عليه الصلاة والسلام أحب الناس الى الله تعالى وأقربهم اليه السلطان العادل وأبغضهم اليه وأبعدهم منه السلطان الجائر وقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة فاذا كان كذلك فلا نعمة أجل من أن يعطي العبد درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره بجميع عمر غيره ومن لم يعرف قدر هذه النعمة واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه أن يجعله الله من جملة أعدائه

ومما يدل على خطر الولاية ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بعض الايام فلزم حلقة باب الكعبة وكان فى البيت نفر من قريش فقال ياسادات قريش عاملوا رعاياكم وأتباعكم بثلاثة أشياء. اذا سألوكم الرحمة فارحموهم. واذا حكموكم فاعدلوا فيهم. واعملوا بما تقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة الله وملائكته لا يقبل الله منه فرضاً ولا نفلا * وقال عليه الصلاة والسلام من حكم بين اثنين بظلم فلعنة الله على الظالمين * وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة لا ينظر الله اليهم سلطان جائر كاذب. وشيخ زان. وفقير متكبر. يعني انه متكبر للطمع * وقال عليه الصلاة والسلام يوما للصحابة سيأتي عليكم يوم تفتحون فيه جانبي الشرق والغرب ويصير فى أيديكم وكل عمال تلك الاماكن فى النار الا من اتقى الله وسلك سبيل التقوى وأدي الأمانة * وقال عليه الصلاة والسلام مامن عبد ولاه الله أمر رعية فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة * وقال عليه الصلاة والسلام

من ولى أمور المسلمين ولم يحفظهم كحفظه أهل بيته فقد تبوأ مقعده من النار * وقال عليه الصلاة والسلام رجلان من أمتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم ومبتدع غال فى الدين يتعدي الحدود * وقال عليه الصلاة والسلام أشدّ الناس عذابا يوم القيامة السلطان الظالم * وقال عليه الصلاة والسلام خمسة قد غضب الله عليهم ان شاء امضي غضبه ومقرهم النار . أمير قوم يطيعونه يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم . ورئيس قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة . ورجل لا يأمر أهله وأولاده بطاعة الله ولا يعلمهم أمور الدين ولا يبالى من اين أطعمهم . ورجل استأجر أجيرا فتمم عمله ومنعه أجرته . ورجل ظلم زوجته فى صداقها

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبع يوما جنازة فتقدم رجل فصلي على الجنازة فلما دفن الميت وضع ذلك الرجل يده على القبر وقال اللهم ان عذبته فبحقك لأنه عصاك وان رحمته فانه فقير الى رحمتك وطوبى لك أيها الميت ان لم تكن أميراً أو عريفاً أو كاتباً أو عوانياً أو جابيا فلما تكلم بهذه الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس فامر عمر بطلبه فلم يوجد فقال عمر هذا الخضر عليه السلام

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للامراء وويل للعرفاء وويل للعوانية فانهم أقوام يعلقون من السماء بذوائبهم في القيامة ويسحبون على وجوههم الى النار يودون لو لم يعملوا عملا قط * وقال عليه الصلاة والسلام ما من رجل ولي أمر عشرة من الناس الا وجيء به يوم القيامة ويداه مغلولتان الي عنقه فان كان عمله صالحا فك الغل عنه وان كان عمله سيئاً زيد عليه غل آخر * وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه ويل لقاضى الارض

من قاضي السماء حين يلقاه الا من عدل وقضي بالحق ولم يحكم بالهوي ولم يمل مع أقاربه ولم يبدل حكما لخوف أو طمع لكن يجعل كتاب الله مرآته ونصب عينيه ويحكم بما فيه * وقال رسول الله صلى عليه وسلم يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله جلّ وعلا انتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة ملكي في أرضي ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذى أمرت به فيقول يارب لانهم عصوك وخالفوك فيقول جلّ جلاله لا ينبغي أن يسبق غضبك غضبي ثم يقول للآخر لم ضربت عبادي أقل من الحد الذي أمرت به فيقول يارب رحمتهم فيقول تعالى كيف تكون أرحم مني خذوا الذى زاد والذى نقص فاحشوا بهما زوايا جهنم

قال حذيفة بن اليمان انا لاأثنى على احد من الولاة سواء كان صالحا أو غير صالح لاني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يؤتي بالولاة العادلين والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط فيوحي الله الي الصراط أن ينفضهم الي النار مثل من جار في الحكم او أخذ رشوة على القضاء أو أعار سمعه لاحد الخصمين دون الآخر فيسقطون من الصراط فيهوون سبعين سنة في النار حتي يصلوا الى قرارها * وقد جاء في الخبران داود عليه السلام كان يخرج ليلا متنكرا بحيث لا يعرفه أحد وكان يسأل كل من يلقاه عن حال داود سرا فجاءه جبريل في صورة رجل فقال له داود ماتقول فى داود فقال نعم العبد الا انه يا كل من بيت المال ولا يأكل من كده وتعب يديه فعاد داود الي محرابه باكيا حزينا وقال الهي علمني صنعة آكل بها من كدي وتعب يدي فعلمه الله تعالي صنعة الزرد

وكان عمر بن الخطاب يخرج كل ليلة يطوف مع العسس حتى يري

خللا يتداركه وكان يقول لو تركت عنزا جرباء على جانب ساقية لم تدهن لخشيت أن أسئل عنها في القيامة فانظر أيها السلطان الي عمر مع احتياطه وعدله وما وصل أحد الى تقواه وصلاته كيف يتفكر ويتخوف من اهوال يوم القيامة وأنت قد جلست لاهيا عن أحوال رعيتك غافلا عن أهل ولايتك

قال عبد الله بن عمر وجماعة من أهل بيته كنا ندعو الله ان يرينا عمر في المنام فرأيته بعد اثنى عشر كانه قد اغتسل وهو متلفع فقلت يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك وبأي حسناتك جازاك فقال ياعبد الله كم لى منذ فارقتكم فقلت اثنتا عشرة سنة فقال منذ فارقتكم فى الحساب وخفت أن أهلك الا ان الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر ولم يكن له من دنياه شيء من أسباب الولاية سوي درة

(حكاية) أرسل قيصر ملك الروم رسولا الي عمر بن الخطاب لينظر احواله ويشاهد فعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال أين ملككم قالوا ليس لنا ملك بل لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول فى طلبه فوجده نائما فى الشمس على الارض فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة تحت رأسه والعرق يسقط منه الى ان بل الارض فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع فى قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الارض لايقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حاله ولكنك ياعمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور لاجرم انه لايزال ساهرا خائفا أشهد أن دينكم لدين الحق ولولا انى أتيت رسولا لاسلمت ولكن سأعود بعد هذا وأسلم

أيها السلطان خطر الولاية عظيم . وخطبها جسيم . والشرح فى ذلك طويل ولايسلم الوالى الا بمقاربة علماء الدين ليعلموه طرق العدل ويسهلوا عليه

خطر هذا الامر

﴿ الاصل الثاني ﴾

ان يشتاق أبدا الي رؤية العلماء ويحرص على استماع نصحهم وان يحذر من علماء السوء الذين يحرصون على الدنيا فانهم يثنون عليك ويغرونك ويطلبون رضاك طمعا فيما في يديك من خبث الحطام ووبيل الحرام ليحصلوا منه شيأ بالمكر والحيل. والعالم هو الذى لا يطمع فيما عندك من المال . وينصفك في الوعظ والمقال. كما يقال ان شقيقا البلخى دخل على هارون الرشيد فقال له أنت شقيق الزاهد فقال أنا شقيق ولست بزاهد فقال له أوصنى فقال ان الله تعالي قدأجلسك مكان الصديق وانه يطلب منك مثل صدقه وانه أعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وانه يطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله وانه أقعدك موضع عثمان بن عفان ذي النورين وهو يطلب منك مثل حيائه وكرمه واعطاك موضع على بن أبي طالب وهو يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه فقال له زدنى من وصيتك فقال نعم. اعلم ان لله تعالي دارا تعرف بجهنم وانه قد جعلك بواب تلك الدار واعطاك ثلاثة أشياء بيت المال والسوط والسيف وأمرك أن تمنع الخلق من دخول النار بهذه الثلاثة فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من بيت المال. ومن خالف أمر ربه فأدبه بالسوط . ومن قتل نفسا بغير حق فاقتله بالسيف باذن ولي المقتول فان لم تفعل ما أمرك فأنت الزعيم لاهل النار. والمتقدم الي دار البوار. فقال له زدنى فقال انما مثلك كمثل معين الماء. وسائر العلماء فى العالم كمثل السواقى فاذا كان المعين صافيا لا يضر كدر السواقي واذا كان المعين كدرا لا ينفع صفاء السواقى

(حكاية) خرج هارون الرشيد والعباس ليلا الى زيارة الفضيل بن عياض فلما وصلا الى بابه وجداه يتلو هذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية ومعناها أيظن الذين اكتسبوا الخطايا ويعملون الاعمال المذمومة ان نسوى بينهم فى الآخرة وبين الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون كلا ساء ما يحكمون فقال هارون ان كنا جئنا للموعظة فكفي بهذه موعظة ثم أمر العباس أن يطرق عليه الباب فطرق بابه فقال افتح الباب لامير المؤمنين فقال الفضيل ما يصنع عندى أمير المؤمنين فقال أطع أمير المؤمنين وافتح الباب وكان ليلا والمصباح يتقد فأطفاه وفتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح بها الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد الناعمة ان لم تنج من العذاب فى القيامة ثم قال له ياأمير المؤمنين استعد لجواب الله تعالى فانه يوقفك مع كل واحد مسلم على حدة يطلب منك انصافك اياه فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا وضمه الي صدره فقال له العباس مهلا يافضيل فقد قتلت أمير المؤمنين فقال الفضيل ياهامان أنت وقومك أهلكتموه وتقول لى مهلا فقد قتلته فقال الرشيد للعباس ما جعلك هامان الا وجعلنى فرعون ثم وضع الرشيد بين يديه ألف دينار وقال له هذه من وجه حلال من صداق أمي وميراثها فقال له الفضيل أنا آمرك أن ترفع يديك عما فيها وتعود الي خالقك وأنت تلقيه الىّ فلم يقبلها وخرج من عنده

﴿ نكتة ﴾ سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظى فقال صف لى العدل فقال كل مسلم أكبر منك سنا فكن له ولداً ومن كان أصغر منك فكن له أباً ومن كان مثلك فكن له أخاً وعاقب كل مجرم على قدر جرمه

واياك أن تضرب مسلما سوطاً واحداً على حقد منك فان ذلك يصيرك الي النار

﴿ نكتة ﴾ حضر بعض الزهاد بين يدى خليفة فقال له عظنى فقال ياأمير المؤمنين انى سافرت الصين وكان ملك الصين قد أصابه الصمم وذهب سمعه فسمعته يقول يوما وهو يبكى والله ما أبكي لزوال سمعي وانما أبكى لمظلوم يقف ببابى يستغيث فلا أسمع استغاثته ولكن الشكر لله اذ بصرى سالم وأمر منادياً ينادى ألا كل من كانت له ظلامة فليلبس ثوبا أحمر فكان يركب الفيل فكل من رأى عليه ثوبا أحمر دعاه واستمع شكواه وأنصفه من خصمائه فانظر ياأمير المؤمنين الى شفقة ذلك الكافر على عباد الله وأنت مؤمن من أهل بيت النبوة فانظر كيف تريد أن تكون شفقتك على رعيتك

﴿ نكتة أخري ﴾ حضر أبو قلابة مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عظني قال من عهد آدم الي وقتنا هذا لم يبق خليفة سواك . فقال زدنى فقال أنت أول خليفة يموت فقال زدنى فقال ان كان الله معك فمن تخاف وان لم يكن معك فالى من تلتجئ قال حسبي ماقلت

(حكمة) كان سليمان بن عبد الملك خليفة فتفكر يوماً وقال قد تنعمت فى الدنيا طويلا فكيف يكون حالي فى الآخرة وأتى الى أبي حازم وكان عالم أهل زمانه وزاهد أوانه * وقال أنفذ لي شيأ من قوتك الذى تفطر عليه فأنفذ له قليلا من نخالة وقد شواها فقال هذا فطوري فلما رأي سليمان ذلك بكي وأثر فى قلبه الخشوع تأثيراً كبيراً فصام ثلاثة أيام وطوى ثم أفطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية فيقال انه في تلك الليلة تغشى أهله فكان منها عبد العزيز وجاء منه عمر بن عبد العزيز . وكان واحد زمانه فى عدله وانصافه وزهده واحسانه وكان على طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل ان ذلك ببركة نيته

وصيامه وأكله من ذلك الطعام

﴿ نكتة ﴾ سئل عمر بن عبد العزيز ما كان سبب توبتك قال كنت أضرب يوما غلاما فقال لي اذكر الليلة التي تكون صبيحتها القيامة فعمل ذلك الكلام في قلبي

﴿ نكتة أخري ﴾ رأى بعض الاكابر هرون الرشيد في عرفات وهو حاف حاسر قائم على الرمضاء الحارة وقد رفع يديه وهو يقول الهي أنت أنت وأنا أنا الذي دأبي كل يوم أعود الي عصيانك ودأبك ان تعود الي برحمتك فقال بعض الكبراء انظروا الي تضرع جبار الارض بين يدي جبار السماء

﴿ نكتة أخرى ﴾ سأل عمر بن عبد العزيز يوما أبا حازم الموعظة فقال له أبو حازم اذا نمت فضع الموت تحت رأسك وكل ما أحببت أن يأتيك الموت وأنت عليه مصرّا فالزمه وكل مالا تريد أن يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه فربما كان الموت منك قريباً فينبغي لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينيه وأن يقبل المواعظ التي وعظ بها غيره فكلما رأي عالماً سأله أن يعظه وينبغي للعلماء أن يعظوا الملوك بمثل هذه المواعظ ولا يغروهم ولا يدخروا عنهم كلمة لحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم والله سبحانه وتعالي أعلم

﴿ الاصل الثالث من ذلك ﴾

ينبغي أن لا تقنع برفع يدك عن الظلم لكن تهذب غلمانك وأصحابك وعمالك ونوابك فلا ترضي لهم بالظلم فانك تسئل عن ظلمهم كما تسئل عن ظلم نفسك

﴿ نكتة ﴾ كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الي عامله أبى موسى

الاشعري «أما بعد فان أسعد الولاة من سعدت به رعيته وان أشقي الولاة من شقيت به رعيته فاياك والتبسط فان عمالك يقتدون بك وانما مثلك كمثل دابة رأت مرعى مخضرا فأكلت كثيراً حتى سمنت فكان سمنها سبب هلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتؤكل * وفى التوراة كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك الظلم منسوباً اليه وأخذ به وعوقب عليه»

وينبغي للوالي أن يعلم انه ليس أحد أشد غبناً ممن باع دينه وآخرته بدنيا غيره واكثر الناس في خدمة شهواتهم فانهم يستنبطون الحيل ليصلوا الي مرادهم من الشهوات . وكذلك العمال لاجل نصيبهم من الدنيا يغرون الوالى ويحسنون الظلم عنده فيلقونه في النار ليصلوا الي اغراضهم وأىّ عدوّ أشد عداوة ممن يسعي فى هلاكك وهلاك نفسه لاجل درهم يكتسبه ويحصله . وفى الجملة ينبغي لمن أراد حفظ العدل على الرعية أن يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ أحوال العمال وينظر فيها كما ينظر في أحوال أهله وأولاده ومنزله ولا يتم له ذلك الا بحفظ العدل أولا من باطنه وذلك أن لا يسلط شهوته وغضبه على عقله ودينه ولا يجعل عقله ودينه أسرى شهوته وغضبه بل يجعل شهوته وغضبه أسرى عقله ودينه

ويجب أن يعلم ان العقل من جوهر الملائكة ومن جند الباري جلت قدرته وان الشهوة والغضب من جند الشيطان فمن يجعل جند الله وملائكته أسرى جند الشيطان كيف يعدل فى غيرهم * وأول ما تظهر شمس العدل فى الصدر ثم ينشر نورها في أهل البيت وخواص الملك فيصل شعاعها الي الرعية ومن طلب الشعاع فى غير الشمس فقد طلب المحال . وطمع فيما لا ينال

واعلم أيها السلطان وتبين أن ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل ان تري الاشياء على ما هى وتدرك حقائق باطنها ولا تغتر بظاهرها . مثلا اذا كنت تجور على الناس لاجل الدنيا فينبغي أن تنظر أي شيء مقصودك من الدنيا فان كان مقصودك من الدنيا أكل الطعام الطيب فيجب أن تعلم ان هذه شهوة بهيمية فى صورة آدمي لان الشهوة الى الاكل من طباع البهائم. وان كان مقصودك لبس التاج فانك امرأة فى صورة رجل لان التزين والرعونة من أعمال النساء . وان كان مقصودك أن تمضي غضبك على أعدائك فانت أسد أو سبع فى صورة آدمي لان احضار الغضب للقلب من طباع السباع . وان كان مقصودك ان تخدمك الناس فأنت جاهل فى صورة عاقل فانك لو كنت عاقلا لعلمت ان الذين يخدمونك انما هم خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وان خدمتهم وسجودهم لانفسهم لا لك وعلامة ذلك أنهم لو سمعوا ارجافا بان الولاية تؤخذ منك وتعطي لسواك لاعرضوا باجمعهم عنك وفى أي موضع علموا الدرهم خدموا وسجدوا لذلك الموضع فعلي الحقيقة ليست هذه خدمة وانما هى ضحكة

والعاقل من نظر أرواح الاشياء وحقائقها ولا يغتر بصورها وحقيقة هذه الاعمال ما ذكرناه وأوضحناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل ومن لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومن لم يكن عادلا مأواه جهنم فلهذا السبب كان رأس مال السعادات كلها العقل

﴿ الاصل الرابع ﴾

ان الوالي فى الاغلب يكون متكبرا ومن التكبر يحدث عليه السخط

الداعية الي الانتقام والغضب غول العقل وعدوه وآفته وقد ذكرنا ذلك في كتاب الغضب في ربع المهلكات .واذا كان الغضب غالبا فينبغي أن يميل في الامور الى جانب العفو ويتعود الكرم والتجاوز فاذا صار ذلك عادة لك ماثلت الأنبياء والاولياء ومتى جعلت امضاء الغضب عادة ماثلت السباع والدواب

﴿حكاية﴾ يقال ان أبا جعفر المنصور أمر بقتل رجل والمبارك بن الفضل حاضر فقال يا أمير المؤمنين اسمع خبرا قبل ان تقتله .روى الحسن البصري عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق في صعيد واحد نادي مناد من كان له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا عن الناس فقال أطلقوه فاني قد عفوت عنه .واكثر ما يكون غضب الولاة على من ذكرهم وطوّل لسانه عليهم فيسعون في سفك دمه

قال عيسي عليه السلام ليحيي بن زكريا عليهما السلام اذا ذكرك أحد بشيء وقال فيك صحيحاً فاشكر الله وان قال فيك كذبا فازدد من الشكر فانه يزيد في ديوان أعمالك وأنت مستريح يعني أن حسناته تكتب لك في ديوانك

وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل إن فلانا رجل قوى شجاع فقال كيف ذاك فقالوا يقوى بكل أحد وما صارع أحدا الا صرعه فقال عليه الصلاة والسلام القوي الشجاع من قهر نفسه لا من صرع غيره . وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث من كانت فيه فقد كمل ايمانه من كظم غيظه وانصف في حال رضاه وغضبه وعفا عند المقدرة * وقال عمر بن الخطاب لا تعتمد على خلق رجل حتى تجربه عند الغضب

(حكاية)قيل عن الحسين بن على رضى الله عنهما انه بلغه عن رجل كلام

يكرهه فأخذ طبقا مملوأ من التمر الجني وحمله بنفسه الي دار ذلك الرجل فطرق الباب فقام الرجل وفتح الباب فنظر الي الحسين ومعه الطبق فقال وما هذا يا ابن بنت رسول الله قال خذه فانه بلغني عنك انك أهديت الىّ حسناتك فقابلت بهذا

(حكاية أخري) خرج زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنه الي المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه فنهاهم زين العابدين وقال كفوا أيديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال ياهذا أنا أكثر مما تقول وما لا تعرفه مني أكثر مما قد عرفته فان كان لك حاجة فى ذكره ذكرته لك فخجل الرجل واستحي فخلع عليه زين العابدين قميصه وأمر له بألف درهم فمضى الرجل وهو يقول أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم

ويروي ان زين العابدين استدعي غلاما له وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين العابدين أما سمعت نداءى فقال بلى قد سمعت قال فما حملك على تركك اجابتي علىّ قال أمنت منك وعرفت طهارة أخلاقك فتكاسلت فقال الحمد لله الذي أمن منى عبدى * ويروي عنه انه كان له غلام فعمد الي شاة فكسر رجلها فقال له لم فعلت هذا قال فعلته عمدا لأغيظك قال ما أنا أغيظ من الذي علمك وهو ابليس اذهب فانت حر لوجه الله تعالي * ويروي ان رجلا سبه فقال له زين العابدين ياهذا بيني وبين جهنم عقبة ان أنا جزتها فما أبالي وان أنا لم أجزها فأنا أكثر مما تقول

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم ويكون رجل يكتب فى جريدة الجائرين ولا ولاية له ولا حكم

الا على أهل منزلة * ويروى أن ابليس رأى موسي عليه السلام فقال ياموسى أعلمك ثلاثة أشياء وتطلب لي من الله حاجة واحدة فقال وما الثلاثة أشياء فقال ياموسى احذر من الغضب والحرد فان الحرد أن يكون خفيف الرأس وأنا ألعب به كما يلعب الصبيان بالكرة واحذر من البخل فاني أفسد على البخيل دنياه ودينه واحذر من النساء فانى مانصبت للخلق شركا اعتمد عليه مثل النساء

وقال عليه الصلاة والسلام من كظم غيظه وهو قادر على أن لا يكظمه ملأ الله قلبه بالايمان ومن لم يلبس ثوبا طويلا خوفا من التكبر والخيلاء ألبسه الله تعالى حلل الكرامة * وقال عليه الصلاة والسلام ويل لمن يغضب وينسي غضب الله * وجاء رجل الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني عملاً أدخل به الجنة فقال لاتغضب قال ثم ماذا قال استغفر الله قبل صلاة العصر سبعين مرة لتكفر عنك ذنوب سبعين سنة فقال مالي ذنوب سبعين سنة فقال لامك قال وما لامي ذنوب سبعين سنة قال لابيك قال وما لابي ذنوب سبعين سنة قال لاخوتك قال نعم

وروى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم يوماً مالا فقال له رجل ما هذه القسمة يعنى أنها ليست بانصاف فحكيت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب واحمرّ وجهه ولم يقل شيأ سوى ان قال رحم الله أخى موسي فانه أوذى فصبر على الاذى

فهذه الجملة من الحكايات والاخبار تقنع فى نصيحة الولاة اذا كان أصل ايمانهم ثابتاً أثر فيه هذا القدر فان لم يؤثر ما ذكرناه فيهم فقد أخلوا قلوبهم من الايمان وانه مابقي من ايمانهم الا الحديث باللسان * عامل يتناول من

أموال المسلمين في كل سنة كذا وكذا ألف درهم ويبقى في ذمته ويطالب بها في القيامة ويحصل بمنفوعها ويبوء بالعقوبة والعذاب . يوم المرجع والمآب كيف تؤثر عنده هذه الاسباب . وهذا نهاية الغفلة * وقلة الدين وضعف النحلة

﴿ الاصل الخامس ﴾

انك فى كل واقعة تصل اليك وتعرض عليك تقدر انك واحد من جملة الرعية وان الوالى سواك فكل مالا ترضاه لنفسك لا ترضى به لاحد من المسلمين وان رضيت لهم بما لا ترضاه لنفسك فقد خنت رعيتك وغششت أهل ولايتك * روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعداً يوم بدر فى ظل فهبط الامين جبريل عليه السلام فقال يامحمد أتقعد فى الظل وأصحابك في الشمس فعوتب بهذا القدر * وقال عليه الصلاة والسلام من أحب النجاة من من النار والدخول الي الجنة فينبغي ان يكون بحيث اذا جاءه الموت وجد كلمة الشهادة بلسانه وكل مالا يرضي به لنفسه لا يرضى به لاحد من المسلمين * وقال عليه الصلاة والسلام من أصبح فى قلبه همة سوى الله فليس من الله في شيء ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم

﴿ الاصل السادس ﴾

ان لا تحقر انتظار أرباب الحوائج ووقوفهم ببابك واحذر من هذا الخطر ومتي كان لاحد من المسلمين اليك حاجة فلا تشتغل عن قضائها بنوافل العبادات فان قضاء حوائج المسلمين أفضل من نوافل العبادات

﴿ نكتة ﴾ كان يوما عمر بن عبد العزيز يقضي حوائج الناس بجلس الي الظهر وتعب فدخل بيته ليستريح من تعبه فقال له ولده وما الذي يؤمنك أن يأتيك الموت في هذه الساعة وعلى بابك منتظر حاجة وأنت مقصر فى حقه فقال صدقت ونهض فعاد الي مجلسه

﴿ الاصل السابع ﴾

ان لا تعود نفسك الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة وا كل الاطعمة الطيبة لكن تستعمل القناعة فى جميع الاشياء فلا عدل بلا قناعة

﴿ نكتة ﴾ سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض الصالحين فقال هل رأيت من حالي شيأ تكرهه قال سمعت انك وضعت على مائدتك رغيفين وأن لك قميصين احدهما لليل والآخر للنهار فقال غير هذين شيء فقال لا قال والله ان هذين لا يكونان ابدا

﴿ الاصل الثامن ﴾

انك متي امكنك أن تعمل الامور بالرفق واللطف فلا تعملها بالشدة والعنف قال صلى الله عليه وسلم كل وال لا يرفق برعيته لا يرفق الله به يوم القيامة . ودعا عليه الصلاة والسلام يوما اللهم الطف بكل وال يلطف برعيته واعنف على كل وال يعنف على رعيته . وقال عليه الصلاة والسلام الولاية والامرة حسنتان لمن قام بحقهما سيئتان لمن قصر فيهما

﴿ نكتة ﴾ كان هشام بن عبد الملك من خلفاء بني أمية فسأل يوما أبا حازم وكان من العلماء ما التدبير فى النجاة من أمور الخلافة قال ان تأخذ

الدرهم الذي تأخذه من وجه حلال وان تضعه فى موضع حق قال من يقدر على هذا قال من يرغب فى نعيم الجنان . ويرهب من عذاب النيران

﴿ الاصل التاسع ﴾

أن تجتهد أن ترضى عنك رعيتك بموافقة الشرع قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه خير أمتي الذين يحبونكم وتحبونهم وشر أمتى الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم. وينبغي للوالى أن لا يغتر بكل من وصل اليه وأثني عليه وأن لا يعتقد ان الرعية مثله راضون عنه وان الذى يثني عليه انما يفعل ذلك من خوفه منه بل ينبغي ترتيب معتمدين يسألون عن حاله من الرعية ليعلم عيبه من ألسنة الناس

﴿ الاصل العاشر ﴾

أن لا يطلب رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع فان من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه * كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول انى لاصبح ونصف الخلق علىّ ساخط ولا بد لكل من يؤخذ منه الحق أن يسخط ولا يمكن أن يرضي الخصمين واكثر الناس جهلا من ترك رضا الحق لاجل رضا الخلق

كتب معاوية الي عائشة رضي الله عنها أن عظيني عظة مختصرة فكتبت اليه تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من طلب رضا الله تعالى في سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن طلب رضا الناس بسخط الله تعالى سخط الله عليه وأسخط الخلق عليه مثل أن لا يأمرهم بالطاعة ولا

يعلمهم أمور الدين ويطعمهم الحرام ويمنع الاجير أجرته والمرأة مهرها سخط الله عليه وأسخط عليه الناس

﴿ بيان العينين اللتين هما مشرب شجرة الايمان ﴾

واذ قد عرفت اصول شجرة الايمان وعرفت فروعها فاعلم ان هناك عينين للعلم تستمد الشجرة منهما الماء (العين الاولي) فى معرفة الدنيا ولم أوجد فيها الانسان

إعلم ياسلطان العالم ان الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان مسافر فاول منازله بطن أمه وآخر منازله لحد قبره وانما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها. فكل سنة تنقضي من الانسان فكالمرحلة * وكل شهر ينقضى منه فكاستراحة المسافر فى طريقه وكل أسبوع فكقرية تلقاه . وكل يوم فكفرسنح يقطعه . وكل نفس كخطوة يخطوها . وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة . وهذه الدنيا قنطرة فمن عمر القنطرة واستعجل بعمارتها فنى فيها زمانه. ونسي المنزلة التي هي مصيره ومكانه. وكان جاهلا غير عاقل وانما العاقل الذى لا يشتغل في دنياه الا لاستعداده لمعاده ويكتفي منها بقدر الحاجة ومهما جمعه فوق كفايته كان سما ناقعا ويتمنى ان تكون جميع خزائنه وسائر ذخائره رماداً وتراباً لا فضة ولا ذهبا ولو جمع مهما جمع فان نصيبه ما يأكله ويلبسه لا سواه وجميع ما يخلفه يكون عليه حسرة وندامة ويصعب عليه نزعه عند موته فحلالها حساب . وحرامها عذاب. ان كان قد جمع المال من حلال طلب منه الحساب . وان كان قد جمع من حرام وجب عليه العذاب. وكان أشد عليه من حسرته . حلول العذاب فى حفرته. ومع هذا جميعه اذا كان ايمانه صحيحاً سالما لحضرة

الديان * فلاوجه ليأسه من الرحمة والرضوان. فان الله جواد كريم غفور رحيم

واعلم أيها السلطان ان راحة الدنيا أيام قلائل واكثرها منغص بالتعب. مشوب بالنصب * وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هى الدائمة الباقية والملك الذي لانهاية له ولا فناء. فيسهل على العاقل ان يصبر فى هذه الايام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء

﴿نكتة﴾ لو كان للانسان معشوقة وقيل له ان صبرت عنها هذه الليلة سلمت اليك ألف ليلة بلا تعب ولا نصب وان كنت تزورها فانك لاتراها أبدا فانه وان كان عشقه لها عظيما وصبره عنها أليما لكن يهون عليه صبره على البعد عنها ليلة واحدة لينال الآخرة بل الدنيا ليست بشىء في جنب الآخرة ولا شبه بينهما لان الآخرة لانهاية لها. ولا يدرك بالوهم طولها

وقد أفردنا فى صفة الدنيا كتابا لكنا نقتنع الآن بما نورده من حال الدنيا وقد أوضحنا حالها على عشرة أمثلة

(المثال الاول في بيان سحر الدنيا) وقد قال صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت. وأول سحرها انها تريك أنها ساكنة عندك مستقرة معك واذا تأملتها خلتها وهي هاربة منك نافرة عنك على الدوام وانما تتسلسل على التدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا * ومثل الدنيا مثل الظل اذا رأيته حسبته ساكنا وهو يمر دائما وكذلك عمر الانسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تودعك وتهرب عنك وأنت غافل لاتخبر. وذا هل لاتشعر. ولذلك قال بعض الشعراء في المعني

وما الدنيا وان كثرت وطابت * بها اللذات الا كالسراب

يمر نعيمها بعد التذاذ * ويمضي ذاهبا مر السحاب

(المثال الثاني من ذلك)ومن سحرها انها تظهر لك محبة لتعشقها وتريك انها لك مساعدة وانها لا تنتقل عنك الي غيرك ثم تعود عدوة لك على غفلة * ومثلها مثل امرأة فاجرة خداعة للرجال حتى اذا رأوها عشقوها ودعتهم الى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم

﴿نكتة﴾ رأى عيسى عليه السلام الدنيا فى بعض مكاشفاته وهى على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان لك من زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال عيسى ماتوا عنك أم طلقوك فقالت بل انا قتلتهم وافنيتهم فقال ياعجبا منك ومن دواهيك هـذا صنعك بأهلك وهم فيك راغبون . وعليك يقتتلون . وبمن مضي لا يعتبرون

(المثال الثالث من ذلك) ومن سحرها انها تزين ظاهرها بمحاسنها . وتخفي محنتها وقواتلها في باطنها. لتغر الجاهل بما يرى من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفى وجهها وتلبس حسن الثياب وتتزين وتتجمل لتفتن الخلق من بعد فاذا كشفوا عنها غطاءها وخمارها. والقوا عنها ازارها. ندموا على محبتها لما شاهدوه من فضائحها * وعاينوه من قبائحها . وقد جاء فى الخبر ان الدنيا يؤتي بها يوم القيامة في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد كشرت عن انيابها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله من هذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم عليها تحاسدون ولأجلها كنتم تحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها إلي النار فتقول الهي أين أحبابي فيؤمر بهم فيلقون فى نار جهنم

(المثال الرابع من ذلك) ان الانسان يحسب كم كان فى الازل قبل أن يوجد فى الدنيا وكم يكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التي بين الأبد والأزل

وهي مدّة حياته في الدنيا فيعلم ان مثال الدنيا كطريق المسافر أوله المهد. وآخره اللحد. وفيما بينهما منازل معدودة وان كل سنة كمنزل وكل شهر كفرسخ وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائما فيبقي لواحد من طريقه فرسخ ولآخر اكثر وهو قاعد ذاهل * وساكن غافل. كأنه مقيم لا يبرح وقد اشتغل بتدبير أعمال لا يحتاج اليها بعد عشر سنين وربما يحصل بعد عشرة أيام تحت التراب

(المثال الخامس من ذلك) اعلم ان مثل الدنيا وما تحف أهلها فيها بشهواتهم ولذاتهم من الامور الفضائح التي يشاهدونها فى الآخرة كمثل انسان أكل فوق حاجته من طعام حلو سمين الى أن هاض وهاضبت معدته فرأى فضيحته من هلاك معدته ونتونة نفسه وكره برازه وحاجته فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيحته من هلاك معدته * وكذلك كلما ألف الانسان لذات الدنيا وتبين له ذلك كانت عاقبته أصعب ويبتلى بمثل ذلك عند نزعه وخروج روحه كمن كان له نعم كثيرة وذهب وفضة وجوار وغلمان وكروم وبساتين وفارقه كان ألم فراق روحه عليه أصعب ممن ليس له الا القليل فان ذلك الألم والعذاب لا يزول بالموت بل يزيد لان تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لا يموت

(المثال السادس من ذلك) اعلم أيها السلطان ان أمور الدنيا أول ما تبدو يظنها الانسان قريبة مختصرة وان شغلها لا يدوم وربما كان من بعض أشغالها وأحوالها أمر يتسلسل منه أمر وينفق فيه بضاعة العمر فان عيسى عليه السلام قال طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشاً ولهباً فلا يزال يشرب حتي يهلك ولا يروي * قال النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يمكن من خاض البحر أن لا يناله البلل كذلك لا يمكن من دخل في

أمور الدنيا أن لا يتدنس

(المثال السابع من ذلك) . مثل من حصل فى الدنيا كمثل ضيف دعى الى مائدة ومن عادة المضيف ان يزين داره للاضياف ويدعو اليها قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج ويضع بين يدي أضيافه طبقا من ذهب مملوءاً بالجوهر ومجمرة من فضة من عود وبخور ليتطيبوا ويتبخروا وينالهم طيب رائحتها ثم يعاودون الطبق والمجمرة بحالهما لمالكهما ليدعو غيرهم كما دعاهم فمن كان عاقلا عارفا برسم الدعوات وضع من ذلك البخور على النار وتطيب وانصرف ولم يطمع ان يتناول الطبق والمجمرة وتركهما بطيبة من قلبه . وشكر لصاحب البيت وربه . ومن كان أبله أحمق توهم ان ذلك الطبق والمجمرة قد أعدّا له وهم يريدون ان يهبوهما له فلما هم بالخروج أخذ الطبق والمجمرة فلم يمكن من الخروج بهما واستعادوهما منه فضاق صدره وتعب قلبه . وطلب الاقالة اذ ظهر ذنبه . فالدنيا كمثل طريق المسافر ودار الضيافة ليتزودوا منها لطريقهم ولا يطمعوا فى الدار

(المثال الثامن) . مثل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها . واهتمامهم باحوالها . ونسيان الآخرة واهمالها كمثل قوم ركبوا مركبا فى البحر فعدلوا الي جزيرة لاجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا الى الجزيرة والملاح يناديهم لاتطيلوا المكث لئلا يفوت الوقت ولا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فان المركب سائر فمضوا وتفرقوا فى الجزيرة وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وشرعوا في الطهارة وعادوا الي المركب فأصابوا الاماكن خالية فجلسوا فى أطهر الاماكن وأوفقها وأرفعها ومنهم قوم نظروا الي عجائب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون في زهرتها وثمارها . ورياضها وأشجارها .

ويسمعون طيب ترنم أطيارها * ويتعجبون من حصبائها الملونة وأحجارها . فلما عادوا الى المركب لم يجدوا موضعا ولا رأوا متسعا فقعدوا في أضيق مواضعه وأظلمها * ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصباء الملونة ثم حملوها معهم الى المركب فلم يجدوا مكانا ولا فرجة فقعدوا في أضيق المواضع وحملوا ماستصحبوا من تلك الاحجار على أعناقهم فلم يمض الا يوم أو يومان حتى تغيرت ألوان تلك الاحجار واسودت وفاح منها أكره رائحة ولم يجدوا مخلصاً من الزحام ليلقوا ثقلها عن أعناقهم فندموا على مافعلوا * وحصلوا بثقل الأحجار على أعناقهم اذ كانوا بتحصيلها اشتغلوا * ومنهم قوم وقفوا مع عجائب تلك الجزيرة وتنزهوا وفى الرجوع لم يتفكروا حتى سار المركب فبعدوا عنه وانقطعوا فى أماكنهم وتخلفوا اذ لم يصيخوا الي المنادي ولم يسمعوا فنهم من أكلته السباع . ونهشته الضباع * فالقوم المتقدمون هم القوم المؤمنون المتقون . والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار المشركون * الذين نسوا الله ونسوا الآخرة وسلموا كليتهم الي الدنيا وركنوا اليها كما قال عز من قائل (الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) أي ركنوا اليها * وأما الجماعة المتوسطون فهم العصاة الذين حفظوا اصل الايمان لكنهم لم يكفوا ايديهم عن الدنيا فنهم من تمتع بغناه ونعمته ومنهم من تمتع مع فقره وحاجته الى ان غلبت اوزارهم * وكثرت اوساخهم واوضارهم

(المثال التاسع) روي ابو هريرة ان النبي صلي الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة اتريد أن أريك الدنيا قلت نعم يارسول الله فاخذ بيدي وانطلق حتي وقف بي على مزبلة فيها رؤس الآدميين وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت

وتلوثت بنجاسات الآدميين فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس التى تراها كانت مثل رؤسكم مملوءة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا كانوا يرجون من طول الاعمار ماترجون وكانوا يجدون في جمع المال وعمارة الدنيا كما تجدون فاليوم قد تغيرت عظامهم وتلاشت أجسامهم كما ترى وهذه الخرق كانت أثوابهم التى كانوا يتزينون بها وقت الرعونة والتجمل والتزين قد ألقتها الريح فى النجاسات وهذه عظام دوابهم التي كانوا يطوفون أقطار الارض على ظهورها وهذه النجاسات كانت أطعمتهم اللذيذة التي كانوا يحتالون فى تحصيلها وينهبها بعضهم من بعض قد ألقوها عنهم بهذه الفضيحة التي لا يقربها أحد من نتنها فهذه جملة أحوال الدنيا كما تشاهد وتري فمن أراد أن يبكى على الدنيا فليبك فانها موضع البكاء قال أبو هريرة فبكى جملة الحاضرين

(المثال العاشر) كان فى زمن عيسى عليه السلام ثلاثة سائرين في طريق فوجدوا كنزا فقالوا قد جعنا فليمض واحد منا ويبتاع لنا طعاماً فمضي أحدهم ليأتيهم بطعام فقال الصواب أن أجعل لهما سماً قاتلاً فى الطعام ليأكلا منه فيموتا وأنفرد بالكنز دونهما ففعل ذلك وسم الطعام * واتفق الرجلان الآخران انه اذا وصل اليهما قتلاه وانفردا بالكنز دونه فلما وصل ومعه الطعام المسموم قتلاه وأكلا من الطعام فماتا فاجتاز عيسى عليه السلام بذلك الموضع فقال للحواريين هذه الدنيا فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة وبقيت من بعدهم ويل لطلاب الدنيا من الدنيا

﴿ العين الثانية معرفة النفس الأخير ﴾

اعلم يا سلطان العالم ان بني آدم طائفتان * طائفة نظروا الى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل . وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير

نصب أعينهم لينظروا الي ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذي ينزل معهم من الدنيا فى قبورهم وما الذي يتركونه لاعدائهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على الخلق وهى على الملوك وأهل الدنيا أوجب لانهم كثيرا أزعجوا قلوب الخلائق وأنفذوا الى الناس الغلمان بالسيآت وأفزعوا الخليقة وأدخلوا فى قلوبهم الرعب فان بحضرة الحق تعالي غلاما اسمه عزرائيل لا مهرب لاحد من مطالبته وتشتيته وكل موكلى الملوك يأخذون جعلهم ذهباً وفضة وطعاماً وصاحب هذا التوكيل لا يأخذ سوى الروح جعلا وسائر موكلى السلاطين تنفع عندهم الشفاعة وهذا الموكل لا تنفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يمهلون من يوكلون به اليوم والليلة والساعة وهذا الموكل لا يمهل نفساً واحداً وعجائب أحواله كثيرة الا أنا نذكر من أحواله خمس حكايات

﴿ الحكاية الاولى ﴾

وهو ما رواه وهب بن منبه وكان من علماء اليهود وأسلم * روى انه كان ملك عظيم أراد أن يركب يوما فى جملة أهل مملكته ويري الخلق عجائبه وزينته فأمر أمراءه وحجابه وكبراء دولته رتبة بالركوب ليظهر للناس سلطنته فأمر باحضار فاخر الثياب وأمر بعرض خيوله المعروفة . وعتاقه الموصوفة . فاختار من جملتها جوادا يعرف بالسبق فركبه بالمركب والطوق المرصع بالجوهر وجعل يركض الحصان فى عسكره . ويفتخر بتيهه وتجبره فجاء ابليس فوضع فمه في منخره ونفخ هواء الكبر في أنف أنفته فقال فى نفسه من في العالم مثلي وجعل يركض بالكبرياء . ويزهو بالخيلاء . ولا ينظر

الى أحد من تيهه وكبره . وعجبه وفخره . فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد عليه سلامه فقبض على عنان فرسه فقال له الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان من قد أمسكت فقال لي اليك حاجة فقال اصبر حتي أنزل فقال حاجتى في هذه الساعة اليك لا عند نزولك فقال اذكر حاجتك فقال انها سر ولا أقولها الا فى أذنك فاصغي اليه بسمعه فقال أنا ملك الموت أريد أقبض روحك فقال أمهلني بقدر ما أعود الى بيتى وأودع أولادي وزوجتى فقال كلا لا تعود تراهم أبداً فانك قد فنيت مدة عمرك وأخذ روحه وهو على ظهر الفرس فخرّ ميتاً * وعاد ملك الموت من هناك فأتى رجلا صالحاً قد رضى ربه عليه فسلم عليه فرد عليه السلام فقال لي اليك حاجة وهي سر فقال الصالح قل حاجتك فى أذنى فقال أنا ملك الموت فقال مرحباً بك الحمد لله على مجيئك فاني كنت كثير الترقب لوصولك ولقد طالت على غيبتك وكنت مشتاقا الي قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل فاقضه فقال ليس لي شغل أهم عندي من لقاء ربي عز وجل فقال كيف تحب أن أقبض روحك فاني أمرت أن أقبض روحك كيف اخترت وآثرت فقال اتركني كيما أتوضأ وأصلى فاذا أنا سجدت فخذ روحي وأنا ساجد ففعل ملك الموت ماأمره به ونقله الى رحمة ربه جل وعلا

﴿ الحكاية الثانية ﴾

روي إنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا كثيرا عظيما من كل نوع خلقه الله تعالي من متاع الدنيا ليرفه نفسه . ويتفرغ لاكل ماجمعه . فجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا . مرتفعا ساميا يصلح للملوك والامراء . والاكابر

والعظماء . وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان الاجلاد . والحرسة والاجناد . والبوابين كما أراد . وأمر ببعض الايام ان يصطنع له من أطيب الطعام وجمع أهل مملكته وحشمه . وأصحابه وخدمه . ليا كلوا عنده . وينالوا رفده . وجلس على سرير مملكته . واتكأ على وسادته . وقال يانفس قد جمعت نعم الدنيا بأسرها فالآن أفرغي بالك وكلى هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل .والحظ الجزيل. فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة خلقة . ومخلاته فى عنقه معلقة * على هيئة سائل يسئل الطعام فجاء وطرق الباب طرقة عظيمة هائله بحيث تزعزع القصر وتزلزل وخاف الغلمان ووثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا ياضعيف ماهذا الحرص وسوء الادب اصبر حتي ناكل ونطعمك مما يفضل فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج الى فلى اليه شغل مهم . وأمر ملم. فقالوا تنح أيها الضعيف من أنت حتى تأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال أنتم عرفوه ما ذكرت فلما عرفوه فقال هلا زجرتموه . وحردتم عليه ونهرتموه . ثم طرق الباب أعظم من الطرقة الاولى فنهضوا من أماكنهم بالعصيّ والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا أماكنكم فانا ملك الموت فارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم . ورعبت قلوبهم . وطاشت عقولهم . فقال الملك قولوا له ايأخذ بدلا مني .وعوضا عنى . فقال ما آخذ الا أنت ولا أتيت الا لأجلك لأفرق بينك وبين هذه النعم التى خولتها فقال لعن الله هذا المال الذي غرنى وأضرنى. ومنعنى عن عبادة ربي وكنت أظن انه ينفعنى. فاليوم صار حسرتى وبلائى وخرجت صفر اليدين منه وبقى لاعدائى فانطق الله المال حتي قال لأي شيء تلعننى المن نفسك فان الله تعالي خلقني واياك

من تراب وجعلني فى يدك لتتزودبي الى أخرتك وتتصدق بي على الفقراء وتتزكي بى على الضعفاء ولتعمر بى الربط والمساجد والجسور والقناطر لاكون لك عونا في اليوم الآخر . وأنت جمعتنى وخزنتنى . وفى هواك أنفقتني . ولم تشكر حقي بل كفرتني فالآن تركتنى لاعدائك.وأنت بحسرتك وضرائك.فأى ذنب لي حتى تلعننى ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام.فسقط عن سريره صريع الحمام

﴿ الحكاية الثالثة ﴾

قال يزيد الرقاشى كان في زمن بنى اسرائيل جبار من الجبابرة وكان في بعض الايام جالسا على سرير ملكه فرأي رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فلشدة خوفه من هجومه * وهيبة قدومه * وثب في وجهه وقال من أنت أيها الرجل ومن أمرك بالدخول الي داري فقال صاحب الداروانا الذى لايحجبني حاجب ولا أحتاج فى دخولي على ملك الي اذن ولا أرهب من سياسة سلطان ولا يفزعني جبار * ولا لأحد من قبضتي فرار * فلماسمع هذا الكلام خرعلى وجهه ووقعت الرعدة في جسده فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال اقسم بالله عليك الاما أمهلتنى يوماواحدا لاتوب من ذنبى.وأطلب العذر من ربى.وأردّ الاموال التى أودعتها خزائنى فلا أتحمل مشقة عذابها في الآخرة فقال كيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة * وأوقاته مثبوتةمكتوبة * فقال أمهلني ساعة فقال ان الساعات فى الحساب وقد عبرت وأنت غافل وقد استوفيت انفاسك ولم يبق لك نفس واحدفقال من يكون عندي * اذا نقلتني الى لحدى * قال لايكون عندك سوي عملك

فقال مالى عمل قال لاجرم يكون مقيلك الى النار * ومصيرك الى غضب الجبار * ثم قبض روحه نخر من سريره ووقع * وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع * ولو علموا ما يصير اليه من سخط ربه لكان بكاؤهم اكثر * وعويلهم أوفر .

﴿ الحكاية الرابعة ﴾

يقال ان ملك الموت دخل على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يحد نظره . ويطيل بصره . الي رجل من ندمائه فلما خرج قال ذلك الرجل يانبي الله من كان ذلك الرجل الذي دخل فقال ملك الموت فقال أخاف ان يريد قبض روحي فخلصني من يده فقال كيف أخلصك فقال تأمر الريح ان تحملنى في هذه الساعة الي بلاد الهند لعله يضل عني ولا يجدنى فأمر سليمان الريح فحملته في الوقت والحال فعاد ملك الموت ودخل على سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فلما دخل عليه السلام قال له لأي سبب كنت تطيل النظر الي ذلك الرجل قال كنت اتعجب منه لانى أمرت ان أقبض روحه فى أرض الهند وكان بعيدا عنها الي أن اتفق بحمل الريح له الي هناك ما قدره الله تعالي

﴿ الحكاية الخامسة ﴾

يروى ان ذا القرنين مر بقوم لا يملكون شيأ من أسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على أبواب دورهم وهم كل يوم يتعمدون تلك القبور يكنسونها وينظفونها ويبخرونها ويزورونها ويعبدون الله فيها ومالهم طعام الا الحشيش ونبات الارض فبعث اليهم ذوالقرنين رجلا فدعا ملكهم فلم يجبه وقال مالى وله فجاء ذو القرنين وقال كيف حالكم فانى لا أري لكم شيأ من

ذهب ولا فضة ولا أري عندكم شيأ من نعم الدنيا قال لأن نعم الدنيا لا يشبع منها أحد قط وقال لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فننظر اليها ويتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا فى قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال ولم تأكلون الحشيش فقال لا نا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا للحيوانات ولان لذة الطعام لا تجاوز الحلق ثم مد يده الي طاقة فاخرج منها قحف راس آدمى فوضعه بين يديه وقال ياذا القرنين أتعرف من كان صاحب هذا.قال كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور عليهم وعلى الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع حطام الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه . ثم مد يده الى الطاقة وأخرج قحفا آخر فوضعه بين يديه وقال له أتعرف من كان صاحب هذا قال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لاهل مملكته فقبض الله روحه وأسكنه جنته . ورفع درجته . ثم انه وضع يده على رأس ذى القرنين وقال ترى أي هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى ذو القرنين بكاءً شديداً وضمه الى صدره وقال له ان رغبت فى صحبتى سلمت اليك وزارتى وأقاسمك مملكتي فقال هيهات مالي رغبة فى ذلك.قال ولم قال لان الناس جميعا أعداؤك بسبب المال والمملكة.وكلهم أصدقائي بسبب القناعة والصعلكة.فالله تعالى معك فالآن يجب أن تعرف حكايات النفس الاخير وتتيقن معرفتها

(واعلم) ان أهل الغفلة المغترين لا يحبون استماع حديث الموت لئلا يبرد حب الدنيا فى قلوبهم * وتتنغص عليهم لذة مأكولهم ومشروبهم * وقد جاء فى الخبر أن من اكثر ذكر الموت وظلمة اللحد كان قبره روضة من رياض الجنة ومن نسى الموت وغفل عن ذكره كان قبرة حفرة من حفر النار

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يصف أجر الشهداء وثواب السعداء الذين قتلوا فى معركة حرب الكفار فقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله هل ينال ثواب الشهداء من لم يمت شهيدا فقال عليه الصلاة والسلام من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة كان له مثل أجر الشهداء ودرجتهم

وقال عليه الصلاة والسلام اكثروا من ذكر الموت فانه يمحو الذنوب ويبرد حب الدنيا في القلوب. سئل عليه الصلاة والسلام من أعقل الناس وأحزمهم فقال اعقل الناس اكثرهم للموت ذكرا وأحزمهم أحسنهم له استعدادا له شرف الدنيا وكرامة الآخرة فمن عرف الدنيا كما ذكرناه.وكرر في قلبه ذكر النفس الاخير سهلت عليه أمور دنياه.وقوى أصل شجرة الايمان فى قلبه وأخذ في النمو والزيادة ونمت فروع شجرة الايمان عنده ولقى الله وايمانه سالم . والله جلت قدرته . وعلت كلمته . ينور بصيرة سلطان العالم ليرى الاشياء على ماهى عليه ويجتهد فى آخرته . ويحسن الى عباد الله وبريته * فان فى رعيته ألف ألف من الخلائق اذا عدل فيهم كان الكل شفعاءه ومن شفع فيه من هؤلاء الخلائق من المؤمنين كان آمنا يوم القيامة من العذاب وان ظلمهم كان الكل خصماءه وعاد أمره عظيم الخطر . شديد الغرر . واذا صار الشفيع خصما أشكل الامر

الباب الاول فى ذكر العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم

اعلم وتيقن ان الله سبحانه وتعالي اختار من بنى آدم طائفتين وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليبينوا للعباد على عبادته الدليل . ويوضحوا لهم الى معرفته السبيل . واختار الملوك لحفظ العباد من اعتداء بعضهم على بعض .

وملكهم أزمة الابرام والنقض . فربط بهم مصالح خلقه في معايشهم بحكمته. وأحلهم أشرف محل بقدرته . كما يسمع فى الاخبار السلطان ظل الله في أرضه فينبغي ان يعلم ان من أعطاه الله درجة الملوك وجعله ظله فى الارض فانه يجب على الخلق محبته . ويلزمهم متابعته وطاعته . ولا يجوز لهم معصيته ومنازعته. قال الله تعالي (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) فينبغي لكل من آتاه الله الدين . أن يحب الملوك والسلاطين . وان يطيعهم فيما يأمرون ويعلم ان الله تعالى يعطى السلطنة والمملكة وانه يؤتي ملكه من يشاء كما قال في محكم تنزيله (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير)

والسلطان العادل من عدل بين العباد * وحذر من الجور والفساد * والسلطان الظالم شوم . لا يبقى ملكه ولا يدوم * لان النبى صلى الله عليه وسلم يقول الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم * وفي التواريخ ان المجوس ملكوا أمر العالم أربعة آلاف سنة وكانت المملكة فيهم وانما دامت المملكة بعدلهم فى الرعية * وحفظهم الامور بالسوية * وانهم ما كانوا يرون الظلم والجور فى دينهم وملتهم جائزا وعمروا بعدلهم البلاد * وانصفوا العباد * وقد جاء فى الخبر ان الله جل ذكره أوحي الي داود عليه السلام أن انه قومك عن سب ملوك العجم فانهم عمروا الدنيا وأوطنوها عبادى . فينبغي ان تعلم ان عمارة الدنيا وخرابها من الملوك فاذا كان السلطان عادلا عمرت الدنيا وأمنت الرعايا كما كانت عليه فى عهد أزدشير وافريدون وبهرام كور وكسرى أنوشروان . واذا كان السلطان جائرا خربت الدنيا كما كانت فى عهد الضحاك وافراسيان وبرزدكنه الخاطى

وامثال هؤلاء وهكذا الي أن استولي أهل الاسلام وغلبوا العجم وأزاحوهم عن بلادهم وعن الملك وقويت دولة دين الاسلام. ببركة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . وذلك فى عهد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فاعلم وتيقن ان هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم كانوا أصحاب الدنيا وملوك الارض وانهم بلغوا من الدنيا مرادهم . وصرفوا باللذات أوقاتهم . ومضوا وبقيت اسماؤهم وسماتهم . كما عددناه من أفعالهم . وأوردناه من خصالهم. لتعلم ان الناس انما هم الحديث الذي يبقي بعدهم فكل انسان يذكر بالذي كان يفعله . وينسب اليه ما كان يعمله . ان خيرا فخير وان شرا فشر

فيجب على الانسان ان يزرع بذر الاحسان . وان ينفي عن نفسه العيوب الفاحشات . والخطايا الموبقات . لاسيما الملوك ليبقى بعدهم حسن الاسم. وصالح الرسم . ولئلا يذكر بالقبيح. وقد حل بالضريح . كما قال الشاعر

اهرب من الذنب وتب يافتي * وان بدامنك فسدواندم
وانف عن نفسك ما شانها * ومن مساوي الدهر خف تسلم
وبعدك يبقي الذكر لا غيره * فكن حديثا حسنا تغنم

يقال ان ذكر الرجال بعدهم حياتهم الثانية فى الدنيا فواجب على العقلاء قراءة أخبار هؤلاء الملوك والنظر فى أحوال هذه الدنيا القليل وفاؤها . والكثير بلاؤها . وان لا يعلقوا قلوبهم بامانيها فانها لا يبقي عليها صالح . ولا يسلم فيها طالح . وليجتهد العاقل ان لا يكثر خصومه فان أمر الخصوم صعب هائل . والبارى تعالي حاكم عادل . لا بد ان ينصف يوم القيامة بين الخصوم . ويأخذ من الظالم للمظلوم . فلا تساوى الدنيا باسرها . ان تجعل الناس خصوما لاجلها . كما جاء فى الحكاية

(حكاية) كان أبو على بن الياس اسفهسلار نيسابور فحضر يوماً عند الشيخ أبي على الدقاق رحمه الله وكان زاهد زمانه . وعالم أوانه . فقعد على ركبتيه . بين يديه . وقال له عظني فقال له أبو على أيها الامير أسألك مسألة وأريد الجواب عنها بغير نفاق فقال أجل أجيبك فقال أيها الامير أيما أحب اليك المال أو العدوّ فقال المال أحب الىّ من العدوّ فقال كيف تترك ما تحبه بعدك وتستصحب العدو الذي لا تحبه معك فبكى الامير ودمعت عيناه وقال نعم الموعظة هذه وجميع الوصايا والحكم تحت هذا الكلام

والخالق سبحانه وتعالى أرسل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أخيراً حتي عادت ببركته دار الكفر دار الايمان . وأظهره فى أسعد وقت وأوان . وعمر الدنيا بشريعته . وختم الانبياء بنبوّته . وكان الملك فى ذلك الزمان . كسري أنوشروان . وهو الذي فاق ملوك ايران . بعدله ونصفته . وتدبيره وسياسته . وذلك جميعه ببركات نبينا محمد صلي الله عليه وسلم . لانه ولد فى زمانه . ووجد فى أوانه . وعاش أنوشروان بعد مولده صلى الله عليه وسلم سنتين . والنبى صلى الله عليه وسلم افتخر بأيامه فقال ولدت في زمن الملك العادل كسري أنوشروان وانما سماه ملكا عادلا لعدله ولتعلم ان الصيت الحسن والاسم الجيد خير الاشياء . والملوك الذين كانوا قبله كانت همتهم فى عمارة الدنيا والعدل بين الرعية وحفظ الجسم بالسياسة وحسن الانالة وآثار عمارتهم التي أثروها الي اليوم ظاهرة في العالم وكل بلد يعرف باسم ملكه لانهم عمروا المواضع . وبنوا الضياع والمزارع . واستخرجوا القنوات والمصانع وأظهروا ما كان خافياً من مياه العيون وجميع ماذكرناه كان أنوشروان يعمره بعدله وانصافه . مع تجنبه الاسراف فى عفافه

(حكاية) يقال ان أنوشروان العادل أظهر يوماً من أيام ملكه انه مريض وأنفذ ثقاته وأمناه أن يطوفوا أقطار مملكته . واكناف ولايته وأن يتطلبوا له لبنة عتيقة من قرية خربة ليتداوى بها • وذكر لاصحابه ان الاطباء وصفوا له ذلك فمضوا وطافوا جميع ولايته وعادوا فقالوا ما وجدنا مكانا خراباً ولا لبنة عتيقة ففرح انوشروان وشكر الله وقال انما أردت هذا لأجرب ولايتي . وأختبر مملكتي . ولأعلم هل بقي في الولاية موضع خراب لا عمره فالآن لم يبق مكان الا هو عامر فقد تمت أمور المملكة وانتظمت الاحوال • ووصلت العمارة الي درجة الكمال •

(واعلم) أن أولئك الملوك القدماء كانت همتهم واجتهادهم فى عمارة ولاياتهم بعدهم • روى انه كلما كانت الولاية أعمر • كانت الرعية أوفي وأشكر • وكانوا يعلمون ان الذي قالته العلماء • ونطقت به الحكماء • صحيح لا ريب فيه وهو قولهم • ان الدين بالملك • والملك بالجند • والجند بالمال والمال بعمارة البلاد • وعمارة البلاد بالعدل في العباد • فما كانوا يوافقون أحداً على الجور والظلم • ولا يرضون لحشمهم بالخرق والغشم • علما منهم ان الرعية لا تثبت على الجور وان الاماكن تخرب اذا استولى عليها الظالمون ويتفرق أهل الولايات ويهربون فى ولايات غيرها ويقع النقص فى الملك ويقل فى البلاد الدخل وتخلو الخزائن من الاموال ويتكدر عيش الرعايا لانهم لا يحبون جائرا • ولا يزال دعاؤهم عليه متواترا • فلا يتمتع بمملكته . وتسرع اليه دواعي هلكته

قال مؤلف الكتاب الظلم نوعان . (أحدهما) ظلم السلطان لرعيته وجور القوى على الضعيف والغني على الفقير . والثاني ظلمك لنفسك وذلك

من شؤم معصيتك فلا تظلم ليرفع عنك الظلم كما جاء في الخبر

(حكاية) يقال انه كان فى بنى اسرائيل رجل يصيد السمك ويقوت من صيده اطفاله وزوجته فكان فى بعض الايام يتصيد فوقعت في شبكته سمكة كبيره ففرح بها وقال امضي بهذه السمكة وأبيعها وأخرج ثمنها في نفقة العائلة فلقيه بعض العوانية فى طريقه وقال له أتبيع هذه السمكة فقال فى نفسه ان قلت له نعم أخـذها بنصف ثمنها فقال له ماأبيعها فضربه العواني بخشبة كانت معه على صلبه ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا فدعاالصيادعليه وقال الهي خلقتنى مسكينا ضعيفا . وخلقته قويا عنيفا . اللهم نخذ بحقي منـه في الدنيا فانى لا أصبر الي الآخرة ثم ان الغاصب انطلق بالسمكة الي منزله وسلمها الى زوجته وأمرهاأن تشويها فلما شوتها وضعتها بين يديه على المائدة فمد يده ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزت أصبعه نكزة سلبت قراره . وازالت لشدة نكزتها اصطباره . فشكا حاله الي الطبيب وذكر مانا له فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع هذه الاصبع لئلا يسري الالم الى جميع الكف فقطع أصبعه فانتقل الالم الي الكف وازداد تألمه وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي ان تقطع اليد من المعصم لئلا يسري الالم الي الساعد فقطع يده من المعصم فانتقل الالم الي ساعده فقال له الطبيب ينبغي ان تقطع الساعد لئلا يسري الالم الي الكتف فقطع الساعد فانتقل الالم الى الكتف وتوجع نخرج هائما على وجهه داعيا الى ربه . ليكشف مانزل به فرأى شجرة فانكفأ اليها فأخذه النوم . فرأي فى منامه كان قائلا يقول له يامسكين الي كم تقطع يدك امض الى خصمك وأرضه فانتبه وتفكر وتذكر وقال انني أخذت السمكة غصبا . وأوجعت الصياد ضربا . وهي التي

نكزتي فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده فوقع بين يديه والتمس الاقالة واعطاه شيأ من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه . ففى الحال سكن ألمه . وبات تلك الليلة على فراشه وتاب واقلع عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففى اليوم الثانى تداركته رحمة ربه ورد يده كما كانت بقدرته فنزل الوحى على موسي عليه السلام ان ياموسى وعزتي وجلالى وقدرتي لولا ان الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته

(حكاية) كان موسي عليه السلام يناجى ربه عز وجل على الطور فقال فى مناجاته الهي أرني عدلك وانصافك فقال له أنت رجل عجول حادّ جرئ لا تقدر ان تصبر فقال أقدر على الصبر بتوفيقك فقال اقصد العين الفلانية واختف بازائها وانظر الى قدرتى وعلمى بالغيوب فمضي موسى وصعد الي تل بازاء تلك العين وقعد مختفيا فوصل الي العين فارس فنزل عن فرسه وتوضأ من العين وشرب من مائها وحل من وسطه هميانا فيه ألف دينار فوضعه الي جانبه وصلى ثم ركب ونسى الهميان في موضعه وسار فجاء صبي صغير فشرب من العين وأخذ الهميان فجاء بعد الصبي شيخ أعمي فشرب من الماء وتوضأ ووقف فى الصلاة فذكر الفارس الهميان فعاد من طريقه الى العين فوجد الشيخ فلزمه وقال اني نسيت هميانا فيه ألف دينار فى هذا الموضع فى هذه الساعة وما جاء الي هذا المكان سواك فقال الاعمى تعلم أني رجل أعمي فكيف أبصرت هميانك فغضب الفارس من كلامه وجذب السيف فضرب الاعمى فقتله وفتشه عن الهميان فلم يجده فمضى وتركه فعند ذلك قال موسى الهي وسيدى قد نفد صبري وأنت عادل فعرفنى كيف هذه الاحوال فهبط جبريل عليه السلام وقال ياموسى البارى تعالى يقول أنا عالم الاسرار أعلم مالا تعلم . أما

الصبي الصغير الذي أخذ الهميان فاخذ حقه وملكه وذلك أن أبا الصبي كان أجيراً لذلك الفارس فاجتمع عليه بقدر ما فى الهميان فالذىأخذه الصبيّ حقه. وأما ذلك الاعمى فانه قبل أن يعمي قتل أبا ذلك الفارس فقد اقتص منه ووصل كل ذي حق الى حقه وعدلنا وانصافنا دقيق فلما علم موسى ذلك تحير واستغفر . وهذه الحكاية أوردناها ليعلم العقلاء . ويتصور الألباء.ان الله جلّ ذكره لايخفى عليه شيء وانه ينتصف من الظالم في الدنيا ولكن نحن غافلون عما جاءنا لاندرى من أين أتانا

سئل ذوالقرنين فقيل له أى شيء أنت به أكثر سرورا فقال شيئان أحدهما العدل والانصاف . والثاني أن اكافئ من أحسن الي باكثرمن احسانه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الاحسان في كل شيء حتى انه يحب انسانااذاذبح شاةأن يمهي[1] لها المديةليعجل خلاصهامن ألم الذبح . وقال موسى عليه السلام ان الله تعالي لم يخلق شيأ في الارض أفضل من العدل والعدل ميزان الله فى أرضه من تعلق به أوصله الي الجنة . وقال رسول الله صلى عليه وسلم ان للمحسنين فى الجنة منازل حتى المحسن الي أهله وأتباعه . وقال قتادة في تفسير هذه الآية (الاّ تطغوا في الميزان) قال أراد به العدل فقال ياابن آدم اعدل كما تحب أن يعدل فيك * وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالي لما أهبط آدم الي الارض أوحي اليه أربع كلمات وقال يا آدم علمك وعلم جميع ذريتك على هذه الكلمات الاربع وهى كلمة لي . وكلمة لك . وكلمة بينى وبينك وكلمة بينك وبين الناس . اما الكلمة التي لي فهي أن تعبدنى لاتشرك بي شيأ واما التى هي لك فانا أجازيك بعملك . وأما الكلمة التى هى بينى وبينك .

---

(١) فى القاموس أمهي الحديدة أحدها وسقاها الماء اه

فمنك الدعاء ومنى الاجابة ٠ وأما الكلمة التي بينك وبين الناس فهي أن تعدل فيهم وتنصف بينهم * وقال قتادة الظلم ثلاثة اضرب ظلم لا يغفر لصاحبه ٠ وظلم لا يدوم وظلم يغفر لصاحبه ٠ فاما الذى لا يغفر لصاحبه فهو الشرك بالله تعالى قال الله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) واما الظلم الذي لا يدوم فهو ظلم العباد بعضهم لبعض ٠ واما الظلم الذى يغفر لصاحبه فهو ظلم العبد نفسه بارتكاب الذنوب ثم يرجع الي ربه ويتوب فان الله يغفر له برحمته ٠ ويدخله الجنة بفضله

﴿ نكتة ﴾ الدين والملك توءمان مثل أخوين ولدا من بطن واحد فيجب ان يهتم ويجتنب الهوي والبدعة والمنكر والشبهة وكل مايرجع بنقصان الشرع وان علم ان فى ولايته من يتهم بدينه ومذهبه أمر باحضاره وتهديده * وزجره ووعيده * فان تاب * والا اوقع عليه العقاب * ونفاه عن ولايته ليطهر الولاية من اغوائه وبدعته * وتخلو من أهل الاهواء ويعز الاسلام ويستديم عمارة الثغور بانفاذ العساكر والحماة اليها ويجتهد فى اعزاز الحق واعادة رونق السنة النبوية * والسيرة المرضية * لتحمد عند الله طريقته * وتعظم فى الخلق هيبته * وتخاف سطوته اعداؤه ٠ ويعلو قدره وبهاؤه ومنزلته ٠ ويكبر فى عين اضداده * ويعظم عند انداده . ويجب أن يعلم أن صلاح الناس فى حسن سيرة الملك فينبغي للملك ان ينظر في أمور الرعية ويقف على قليلها وكثيرها * وعظيمها وحقيرها ولا يشارك رعيته فى الاشياء المذمومة * والافعال المشؤمة * ويجب عليه احترام الصالحين وان يثيب على الفعل الجميل * ويمنع من الفعل الردئ الوبيل ٠ ويعاقب على ارتكاب القبيح ولا يحابي من أصر على المعصية ليرغب الناس في الخيرات ٠ ويحذروا من السيآت ٠ ومتى كان السلطان بلا سياسة وكان لا ينهي المفسد عن فساده * ويتركه على مراده * افسد اموره فى سائر بلاده

وقالت الحكماء ان طباع الرعية نتيجة طباع الملوك لان العامة انما ينتحلون ويركبون الفساد وتضيق أعينهم اقتداء بالكبراء فانهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم * الا ترى انه قد ذكر في التواريخ ان الوليد بن عبد الملك من بني أمية كان مصروف الهمة الي العمارة والي الزراعة وكان سليمان بن عبد الملك همته فى كثرة الاكل وطيب المطعم وقضاء الاوطار والمهمات وبلوغ الشهوات * وكانت همة عمر بن عبد العزيز فى العبادة والزهادة

قال محمد بن على بن الفضل ما كنت اعلم ان طباع الرعية تجري على عادة ملوكها حتي رأيت الناس في أيام الوليد قد اشتغلوا بعمارة الكروم والبساتين واهتموا ببناء الدور * وعمارة القصور * ورأيتهم في زمن سليمان بن عبد الملك قد اهتموا بكثرة الاكل وطيب المطعم حتي كان الرجل يسأل صاحبه أي لون اصطنعت وما الذى اكلت ورأيتهم في أيام عمر بن عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا لتلاوة القرآن واعمال الخيرات * واعطاء الصدقات. ليعلم ان فى كل زمن يقتدي الرعية بالسلطان ويعملون باعماله. ويقتدون بافعاله. من القبيح والجميل * واتباع الشهوات وادراك الارادات

(حكاية) ذكروا أن في زمن الملك العادل كسري انو شروان ابتاع رجل من رجل ارضا فوجد فيها كنزا فمضي سريعاً الى البائع وأخبره بذلك فقال انما بعتك ولم أعلم ما فيها والكنز الذي وجدته فهولك ومبارك عليك فقال لا أريده ولا أطمع فى أموال الناس فترافعا بهذه الدعوي الي الملك العادل انوشروان ففرح بذلك وقال هل لكما أولاد فقال أحدهما لي ابن وقال الآخر لي بنت فقال انوشروان أحب أن يكون بينكما قرابة ووصلة وان تزوجا الولد بالبنت وتنفقا هذا الكنز فى جهازهما ليكون لكما ولولديكما

ففعلا ما أمر به وتراضيا ما رسم لهما ولو أن الرجلين كانا فى زمن سلطان جائر لقال كل واحد منهما الكنزلى ولكنهما لما علما ان ملكهما عادل طلبا الحق ٠ وآثرا الصدق

وقالت الحكماء الملك كالسوق فكل أحد يحمل الي السوق ما يعلم انه فيه نافق وما يعلم انه كاسد لا يحمله الي ذلك السوق والرجلان اللذان وجدا الكنز وترافعا الي السلطان علما ان الزهد والعدل والصدق يعز عند الملك وان الحق له عنده نفاق فلذلك حملاه اليه. وعرضاه عليه ٠ وأما الآن فى هذا الزمان فكلما يجري على يد أمرائنا وألسنة ولاتنا فهو جزاؤنا واستحقاقنا كما اننا رديئو الاعمال ٠ قبيحو الافعال ٠ ذوو خيانة ٠ وقلة أمانة ٠ فامراؤنا ظلمة جائرون ٠ وغشمة معتدون ٠ «كما تكونوا يول عليكم» فقد صح بهذا الحديث ان أفعال الخلق عائدة الي أفعال الملك ٠ أما ترى انه اذا وصف بعض البلاد بالعمارة وان أهله فى أمان وراحة ودعة وغبطة فان ذلك دليل على عدل الملك وعقله وسداده وحسن نيته في رعيته ٠ ومع أهل ولايته ٠ وان ليس ذلك من الرعية ٠ فقد صح ما قالته الحكماء «الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم» ٠ وقد جاء فى الخبر أيضاً «الناس على دين ملوكهم». وكان من سياسة انوشروان بحيث لو ان رجلا التي في مكان حملا من ذهب وبقي مهما بقي في موضعه لم يقدر أحد على ازالته من مكانه الا صاحبه وكان يونان وزير انوشروان متقدما عنده فقال له يوما أيها الملك لا تركن للاشرار فتخرب ولايتك وتفتقر رعيتك فيصير حينئذ ملكك الى الخراب وسلطانك الى الفقر ويقبح اسمك في الدنيا فكتب انوشروان الي عماله ان أخبرت انه قد بقي في جميع مملكتي أرض خراب سوى أرض سبخة لا تقبل الزرع صلبت عامل تلك الارض . وخراب

الارض من شيئين ٠ أحدهما عجز الملك ٠ والثاني جوره ٠ وكان الملوك في ذلك الزمان يتفاخرون بالعمارة ويتحاسدون على اجتماع المملكة

(حكاية) أرسل ملك هند وستان رسولا الي الملك العادل كسرى انوشروان فقال أنا أولى بالملك منك فانفذ لى خراج ولايتك فامر انوشروان بانزال الرسول ثم جمع فى اليوم الثانى أرباب دولته وأعيان مملكته واذن للرسول في الدخول اليه فلما مثل بين يديه قال له اسمع جواب رسالتك ثم أمر أنوشروان باحضار صندوق ففتحه وأخرج منه صندوقا صغيرا وأخرج منه قبضة من كبر وسلمها الي الرسول وقال هل فى بلادكم من هذا قال نعم من هذا عندنا كثير فقال أنو شروان ارجع وقل لملك الهند يجب عليك ان تعمر ولايتك فانها خراب ثم تطمع بعد ذلك في ولاية عامرة فانك لو طفت جميع ولايتي وطلبت أصلا واحدا من كبر لم تجده ولو سمعت ان في موضع من ولايتي أصلا واحدا من كبر لصلبت عامل تلك الولاية . فيجب على الملك أن يسلك طريق الملوك الذين تقدموه ويعمل على سننهم ويقرأ كتب مواعظهم وقضاياهم فانهم كانوا أطول أعمارا . وأكثر تجارب واعتبارا ٠ وانهم فرقوا بين الجيد والرديء ٠ وعرفوا الجلي من الخفي . وكان أنو شروان مع حسن سيرته تقرأ كتب مواعظهم ويطلب استماع حكاياتهم ويمضى على مناهجهم وسننهم . وملوك هذا الزمان أجدر أن يفعلوا ذلك

(حكاية) سأل أنو شروان العادل يوما وزيره يونان وقال أريد أن تخبرني بسيرة الملوك المتقدمين فقال له يونان تريد أن أمدحهم بثلاثة أشياء أم بشيئين أم بشي واحد فقال أنو شروان أمدحهم بالثلاثة فقال يونان ماوجدت لهم فى شغل من الاشغال ولا عمل من الاعمال قط كذبا ٠ ولا رأيت لهم

بشيء جهلا .ولا رأيت لهم في حال من الاحوال غضبا • فقال أنو شروان امدحهم بالشيئين فقال يونان كانوا دائما يسارعون الي الخير وعمله • وكانوا دائما يحذرون من أعمال الشر • فقال امدحهم بشيء واحد فقال كانت سلطنتهم وجراءتهم على أنفسهم اكثر مما كانت على غيرهم فطلب أنو شروان الكاس وقال ولهذا الكاس سرور بالكرام الذين يأتون بعدنا ويملكون تاجنا وتختنا ويذكروننا كما نذكر نحن من تقدمنا • واشقى الناس من اغتر بملكه وعمر الدنيا وهو لا يدري كيف ينبغي ان يعيش فيها فيعبر دنياه بالتعب ويحصل في آخراه بالندم السرمد* والعذاب المؤبد.وانما كان قصد أولئك الملوك واجتهادهم في عمارة الدنيا ليبقى فيها بعدهم طيب الذكر.مدى الايام والدهر.كما جاء فى الحكاية

(حكاية) كان لأنوشروان كرم يعرف بهزاركام فاجتمع يوماً فيه قيصر ملك الروم ويعفورجين ملك هندوستان فى ضيافة أنوشروان فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة.فقال قيصر الروم ليس شيء فى هذه الدنيا أجود من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب فانه يذكر به صاحبه دائما فيقال بعده لم لا نكون نحن مثله • فقال أنوشروان تعالوا حتي نفعل الخير ونتفكر في الخير فقال قيصر اذا تفكرت فى الخير عملت الخير واذا عملت الخير نلت المراد فقال يعفورجين أعاذنا الله من فكرة ان نحن أظهرناها استحيينا وان ذكرناها خجلنا وان أخفيناها ندمنا فقال قيصر لانوشروان أى شيء أحب اليك قال أحب الاشياء الي أن أقضي حاجة من رآني أهلا لقضاء حاجته فقال قيصر بل أنا أحب أن لا أذنب حتى لا أخاف ملوكا كان هذا كلامهم

انظر كيف كانت سيرتهم مع رعيتهم ياسلطان الاسلام فيجب أن تسمع

أقوال هؤلاء الملوك وتنظر أعمالهم وتقرأ حكاياتهم من الكتب وما ينظر فيها من نعت عدلهم وانصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الجارى على ألسنة الخلق الي يوم القيامة

كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من العدل والسياسة الي حد أقام فيه الحد والعقاب على ولده حتى مات . وكان اذا أنفذ عمالا الي أعمال قال لهم اشتروا دوابكم وأسلحتكم من أرزاقكم ولا تمدوا أيديكم الى بيت مال المسلمين ولا تغلقوا أبوابكم دون أرباب الحوائج * قال عبد الرحمن بن عوف دعانى عمر بن الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة وأخاف عليهم اذا ناموا أن يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا قال لى نم أنت ثم جعل يحرس القافلة طول ليلته * وقال عمر رضي الله عنه يجب عليّ أن أسافر لأقضى حوائج الناس فى أقطار الارض لان بها ضعفاء لا يقدرون على قصدي في حوائجهم لبعد المكان فينبغي أن أطوف البلاد لأشاهد أحوال العمال وأسبر سيرتهم وأقضى حوائج المسلمين فلا يكون في سنيّ عمر أبرك من هذه السنة

(حكاية)قال زيد بن أسلم رأيت ليلة عمر بن الخطاب يطوف مع العسس فتبعته وقلت أتأذن لى أن أصاحبك قال نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا من بعد فقلنا ربما يكون قد نزل هناك مسافر فقصدنا النار فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال وهم يبكون وقد وضعت لهم قدراً على النار وهي تقول الهي أنصفنى من عمر وخذ لي منه بالحق فانه شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر بن الخطاب ذلك تقدم وسلم عليها وقال أتأذنين أن أدنو اليك فقالت ان دنوت بخير فبسم الله فتقدم وسألها عن حالها وحال أطفالها فقالت

وصلت وهؤلاء الاطفال معي من مكان بعيد وأنا خائفة وهم جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع . وقد منعهم عن الهجوع . فقال عمر وأي شيء في هذه القدر فقالت تركت فيها ماء لأشاغلهم به ليظنوا انه طعام فيصبروا . قال زيد فعاد أمير المؤمنين وقصد دكان الدسم فابتاع منه دسما ومضي الى دكان الدقيق فابتاع منه ملء جراب ثم وضع الجميع على كاهله ومضي به يطلب المرأة والاطفال . فقلت يا أمير المؤمنين ناولنيه لأحمله عنك فقال ان حملته عني فمن يحمل عنى ذنوبي ومن يحول بيني وبين دعاء تلك المرأة والاطفال عليّ وجعل يسعي وهو يبكي الي أن وصلنا الي المرأة فقالت المرأة جزاك الله عنا خير الجزاء فأخذ عمر جزأ من الدقيق وشيأ من الدسم فوضعها في القدر وجعل يوقد النار وكلما أرادت أن تخمد نفخها والرماد يسقط على وجهه ومحاسنه الى أن انطبخت القدر فوضع الطبيخ فى القصعة وقال للمرأة كلى فأكلت المرأة والاطفال فقال عمر أيتها المرأة لا تدعين على عمر فانه لم يكن عنده منك ولا من أطفالك خبر

وأول من دعى بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فان أبا بكر رضى الله عنه دعوه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل الامر الى عمر كانوا يقولون يا خليفة خليفة رسول الله فكان يطول ذلك فقال يا أيها المؤمنون سمونى أميراً فانى أميركم وان دعوتمونى أمير المؤمنين فأنا ذلك عمر بن الخطاب

(حكاية) سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر فى بيت المال فقال كان فى أول الامر اذا لم يكن له شيء يتقوّت به أخذ قليلا برسم القوت فاذا حصل عنده شيء أعاده الي بيت المال . وخطب يوماً فقال أيها الناس قدكان الوحي ينزل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نعرف به ظاهر

الناس وباطنهم وجيدهم ورديئهم والآن قد انقطع الوحي عنا فنحن ننظر من كل أحد الى علانيته والله أعلم بسريرته وأنا على الجهد وعمالي أن لا نأخذ شيأ بغير حق ولا نعطي شيأ بغير حق . فان شئت أن تعلم ان عدل السلطان وتقيته سبب لجميل ذكره . ونيل فخره . فانظر فى أخبار عمر بن عبد العزيز فانه لم يكن لاحد من بنى أمية وبني مروان مثل مدحه ومحمدته ولا يدعي إلاّ له ولا يثني الا عليه لانه كان عادلا تقياً كريما حسن السيرة . نقي السريرة

(حكاية) كان فى زمن عمر بن عبد العزيز قحط عظيم فوفد عليه قوم من العرب فاختاروا منهم رجلا لخطابه فقال ذلك الرجل يا أمير المؤمنين انا اتيناك من ضرورة عظيمة وقد يبست جلودنا على أجسادنا لفقد الطعام وراحتنا فى بيت المال وهذا المال لا يخلو من ثلاثة أقسام . اما أن يكون لله . أو لعباد الله . أو لك . فان كان لله فان الله غنى عنه . وان كان لعباد الله فآتهم اياه . وان كان لك فتصدق به علينا ان الله يجزي المتصدقين فتغرغرت عينا عمر بن عبد العزيز بالدموع وقال هو كما ذكرت وأمر بحوائجهم فقضيت من بيت المال فهمّ الاعرابى بالخروج فقال له عمر أيها الانسان الحر كما أوصلت الىّ حوائج عباد الله وأسمعتنى كلامهم فاوصل كلامى وارفع حاجتى الى الله تعالى فحول الاعرابى وجهه قبل السماء وقال آلهى اصنع مع عمر ابن عبد العزيز كصنيعه فى عبادك فما استتم الاعرابي كلامه حتي ارتفع غيم فأمطر مطراً غزيرا وجاء فى المطر بردة كبيرة فوقعت على آجرة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار

(حكاية) يقال ان عمر بن عبد العزيز كان ينظر ليلا في قصص الرعية

وروزنامجاتهم فى ضوء السراج فجاء غلام له فحدثه فى سبب كان يتعلق ببيته فقال له عمر أطفئ السراج وحدثني فان هذا الدهن من بيت مال المسلمين فلا يجوز استعماله الا فى اشغال المسلمين كذا يكون حذر السلطان وتوقيه اذا كان عادلا كما جاء في الحكاية

(حكاية) كان لعمر بن عبد العزيز غلام وكان خازنا لبيت المال وكان لعمر بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غدا العيد ونساء الرعية وبناتهم يلمننا ويقلن أنتن بنات أمير المؤمنين ونراكن عريانات لا أقل من ثياب بيضاء تلبسنها وبكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الخازن وقال له أعطني مشاهرتى لشهر واحد فقال الخازن يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفا أتظن ان لك عمر شهر فتأخذ مشاهرة شهر فتحير عمر وقال نعم ما قلت أيها الغلام بارك الله فيك ثم التفت الى بناته وقال اكظمن شهواتكن فان الجنة لا يدخلها أحد الا بمشقة

(حكمة) لما كان الامراء كذلك كان حواشيهم وخدمهم على قاعدتهم والعدل التام هو أن تساوى بين المجهول الذي لا يعرف وبين المحتشم صاحب الجاه المعروف فى مقام واحد في الدعاوي وتنظر أيضا بعين واحدة ولا تفضل أحدهما على الآخر لاجل ان أحدهما فقير والآخر غني فان الجوهر والخزف فى الاخرة بسعر واحد . ولا يحرق عاقل نفسه بالنار . لحشمة الاغيار . واذا كان لرجل ضعيف على سلطان من السلاطين دعوى فينبغي ان يقوم من صدر مملكته ويعمل بحكم الله تعالى وينصف ذلك العبد الضعيف ويرضيه ولا يحيف عليه ولا يستحيي من الحق ويعمل بقول تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وحقيقة ذلك ان كان للملك على آخر حق ان يسامحه

ويمن به عليه ويأمر عماله الثقات ان يقتدوا بمثاله ويعملوا بسيرته لئلا يسئل عنه يوم القيامة . فقد جاء عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال كل راع يسئل عن غنمه وكل انسان يسئل عن رعيته والحال على هذه الصفة والمآل

(حكايه) يقال ان اسماعيل بن احمد أمير خراسان نزل بمرو وكان رسمه فى كل موضع ينزله أن يأمر المنادى أن ينادى فى العسكر ان الجند مالهم في الرعية شغل فمضى رجل من الخرنبدية ودخل مبطخة قوم فتناول من البطيخ قـدراً يسيراً فجاؤا الي باب الملك واستغاثوا فأمر باحضاره فأحضر بين يديه فقال له ألك علينا أجرة فقال نعم فقال أما سمعت المنادى فقال بلى قد سمعته فقال ماحملك على أن آذيت رعيتي قال أخطأت قال لا أقدر لاجل خطئك على دخول النار ثم أمر به فقطعت يده

(حكاية) يحكي عن اسماعيل الساماني فى كتاب سير الملوك انه كان ينزل بحذاء موليان وكان يصل كل وقت الى مدينة كغد ويأمر المنادي أن ينادى في الناس وكان يرفع الحجاب ويزيح البواب ليجئ كل من له ظلامة ويقف على جانب البساط ويخاطبه ويعود مقضى الحاجـة . وكان يقضى بين الخصوم مثل الحـكام الى ان تفني الدعاوي ثم يقوم من موضعه ويقبض على محاسنه ويوجه وجهه نحو السماء ويقول الهى هذا جهدي وطاقتي قد بذلتهما وأنت عالم الاسرار تعلم نيتى ولا أعلم على أيّ عبد من عبادك حفت . ولا لأيهم ظلمت. وماأنصفت انا واحدا من أصحابى فاغفرلى ياالهى من ذلك مالا أعلم . فلما كان نقى النية . جميل الطوية . لاجرم علا أمره . وارتفع قدره وكان عسكره ألف فارس معتدين بالسلاح مقنعين بالحديد وببركة ذلك العدل والانصاف ظفره الله تعالى بعمرو بن ليث حتي قبض عليه وفتح خراسان.

ثم ان عمرو بن ليث انفذ اليه من السجن فقال لى بخراسان اموال كثيرة . وكنوز موفورة . وانا اسلم الجميع اليك وأطلقنى من السجن فلما سمع اسماعيل ذلك ضحك وقال الي الآن لم يستقم معي عمرو بن ليث يريد ان يجعل المظالم التى احتقبها .والمآثم التي ارتكبها . فى عنقى ويتخلص من ثقل أوزارها فى القيامة قولوا له مالي فى مالك حاجة . ثم انه أخرجه من السجن وانفذه رسولا الى بغداد فنال من أمير المؤمنين الخلع والتشريف.وجلس اسماعيل في مملكته بخراسان آمنا فارغ البال حسن الحال. وبقيت المملكة فى عنصر السامانية مائة وثلاثين سنة فلما انتقل الامر الي أصاغرهم وصبيانهم ظلموا الخلق . وتعدوا الحق فزال ملكهم .قال رسول الله صلى عليه وسلم عدل السلطان يوما واحدا خير من عبادة سبعين سنة . وقال عليه الصلاة والسلام نصفة المظلوم زكاة العقل . وقال عليه الصلاة والسلام من سل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولازمه الغم كما قال الشاعر

تقطب منك طلق الوجه يوما * تري بالعدل عن جور جزاء
فقل للناس ما تهوي استماعا * ولا تقتل ان اخترت البقاء

جاء في الخبر ان داود عليه السلام كان ينظر يوما فرأى شيأ ينزل من السماء مثل النخالة فقال الهي ماهذا قال هذه لعنتى أنزلها على بيوت الجائرين

(حكاية) لما قعد أنوشروان فى المملكة كتب اليه يونان الوزير فقال اعلم أيها السلطان أن أمور الملك على ثلاثة أشياء . اما أن ينصف رعيته ولا ينتصف منهم وذلك هو الدرجة العليا . أو ينتصف وينصف وهى الدرجة الوسطي أو ينتصف ولا ينصف وهى الدرجة السفلى فانظر أيها الملك الي هذه الثلاثة واختر أيها اردت وانا اعلم ان مولانا يختار الاولى كما قال الشاعر

من أنصف الناس ولم ينتصف * بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافهم مثلما * أنصف أضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافه وهو لا * ينصفهم فهو الدنيء الحقير

(نصيحة وموعظة) دخل شبيب بن شبه يوما على المهدي فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك الدنيا فاعط رعيتك قسطا من طيب عيشك فقال المهدي وما الذي ينبغي ان تعطى الرعية فقال العدل فانه اذا نامت الرعية في أمن منك نمت آمنا في قبرك * وقال احذر يا أمير المؤمنين من يوم لا ليلة بعده ومن ليلة لا يوم بعدها واعدل ما استطعت فانك تجازى بالعدل عدلا وبالجور جورا وزين نفسك بالتقوي فانك في الحشر لا يعيرك أحد زينته كما قال الشاعر

خل نفسك بالتقوى وزينها * فلن يعارتقي في الناس من رجل
وليس تبلي يد المعروف فاحظ بها * تربح كثيراً ورأس المال لم يزل

(حكاية) وصل كتاب من قيصر ملك الروم الى الملك العادل انوشروان يقول بماذا يكون دوام الملك فكتب اليه في الجواب جواب ذلك اني لا أعمل شيأ بجهالة واذا أمرت بامر تممته ولا أتركه لخوف ولا لرجاء؛ يريد انى اذا أمرت بشيء لا أبطله لاجل من يرجوني أو يخافني واني لا أغير شيأ أمرت به

(حكمة) سئل ارسطاطاليس هل يجوز أن يدعي أحد ملكا غير الله تعالى فقال من وجدت فيه هذه الخصال وان كانت عارية . العلم والعدل والسخاء والحلم والرقة وما ناسبها لان الملوك انما كانوا ملوكا بالظل الالهي وضياء الحس . وطهارة النفس . وتزايد العقل . والعلم وقدم الدولة وشرف الاصل .

والدولة التى كانت فى محتدهم وأصولهم فبذلك كانوا ملوكا وسلاطين ومعني قولهم(فرا برذي)وهو الظل الالهي يظهر فى ستة عشر شيأ العقل والعلم وحدة الذكاء وتدارك الاشياء والصور التامة والألمية والفروسية والشجاعة والاقدام والتأنى وحسن الخلق وانصاف الضعيف ومحبة الرعية واظهار الزعامة والاحتمال والمداراة في مكانها والرأى والتدبير فى الامور والاكثار من قراءة الاخبار وحفظ سير الملوك والفحص عن الاحوال والاعمال التي اعتمدها الملوك وعملوا بها لان هذه الدنيا بقية دول المتقدمين الذين تملكوها ثم مضوا وانقضوا وصاروا تذكاراً للناس يذكر كل انسان بفعله. وللآخرة كنز. وللدنيا كنز. فكنز هذه الدنيا حسن الثناء وطيب الذكر. وكنز الآخرة العمل الصالح واكتساب الاجر

(حكمة) كان الاسكندر فى بعض الايام قد ركب فى مركب مملكته فقال رجل من مقدمي عسكره ان الله تعالي أعطاك ملكا عظيما فاستكثر من النساء لتكثر أولادك فتذكر بهم بعدك فقال ليس ذكر الرجال بعدهم بكثرة الاولاد لكن بحسن السيرة وعدل النية ورجل غلب رجال الدنيا لا يجوز أن تغلبه النساء

(حكمه) سأل الاسكندر ارسطاطاليس ايما أفضل للملوك الشجاعة أم العدل فقال ارسطاطاليس اذا عدل السلطان لم يحتج الي شجاعة

(حكاية) عزل الاسكندر عاملا من عماله من عمل كثير خطير. وولاه أمر عمل خفيف حقير. فجاء في بعض الايام ذلك الرجل الي الدركاه فقال له الاسكندر كيف تجد عملك فقال أطال الله بقاء الملك الرجال لا تشرف بالاعمال. بل الاعمال تشرف بالرجال. وذلك بحسن السيرة والانصاف.

والعدل وتجنب الاسراف . فاستحسن الاسكندر مقاله . وأعاد اليه أعماله
(حكمة) قال بقراط العالم مركب من العدل فاذا جاء الجور لا يثبت ولا يستقر
(حكمة أخرى) سئل بزرجمهر فقيل بأي شيء يظهر عز الملك فقال بثلاثة أشياء .حفظ الاطراف مع دفع العدو عن الحوزة .واكرام العلماء واعزازهم .وحب أهل الفضل لانه كلما جار السلطان خاف أهل الاطراف وان كانت نعمهم كثيرة فانها مع الخوف لا تنساغ وان كانت النعم قليلة انساغت مع الامن كما جاء في الحكاية

(حكاية) يقال انه انقطع رجل من قافلة الحج وضل الطريق ووقع في الوجل فجعل يسير الي أن وصل الى خيمة فرأى امرأة عجوزا ورأى على باب الخيمة كلباً نائماً فسلم الحاج على العجوز وطلب منها طعاماً فقالت العجوز امض الى ذلك الوادى واصطد من الحيات بقدر كفايتك لأشوي لك منها وأطعمك فقال الرجل أنا لا أجسر أن أصطاد الحيات فقالت العجوز أنا أتصيد معك فلا تخف فمضت واياه وتبعهما الكلب فأخذا من الحيات بقدر كفايتهما فأتت العجوز وجعلت تشوى له الحيات فلم ير الحاج من الا كل بدا وخاف أن يهلك من الجوع والهزال فأكل ثم انه عطش وطلب منها الماء ليشرب فقالت له دونك والعين فاشرب فمضى الي العين فوجد ماءً مالحاً مراً ولم يجد من شربه بدا فشرب وعاد الي العجوز وقال اعجب منك أيتها العجوز ومن مقامك فى هذا الموضع فقالت كيف تكون بلادكم فقال يكون فى بلادنا الدور الرحيبة الواسعة . والفواكه اللذيذة اليانعة . والمياه العذبة . والاطعمة الطيبة .واللحوم السمينة والغنم الكثيرة . والعيون الغزيرة . فقالت العجوز قد سمعت هذا كله فقل لى هل تكونون تحت يد سلطان يجور عليكم واذا

كان لكم ذنب أخذ أموالكم واستأصل احوالكم وأخرجكم عن مسرتكم فقال قد يكون ذلك فقالت اذاً يعود ذلك الطعام اللطيف . والعيش الظريف . والنعم اللذيذة مع الجور والظلم سما ناقعاً وتعود أطعمتنا مع الأمن درياقا نافعاً . أوما سمعت أن أجل النعم بعد نعمة الاسلام الصحة والأمن . والأمن انما يكون من سياسة السلطان . فيجب على السلطان أن يعمل بالسياسة وأن يكون مع السياسة عادلاً لان السلطان خليفة الله ويجب أن تكون هيبته بحيث اذا رأته الرعية خافوا ولو كانوا بعيداً * وسلطان هذا الزمان ينبغي أن يكون له أوفى سياسة وأتم هيبة لان أناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فان زماننا هذا زمان ذوي الوقاحة والسفهاء . وأهل القسوة والشحناء . واذا كان السلطان منهم ضعيفاً أو كان غير ذي سياسة وهيبة فلا شك إن ذلك يكون سبب خراب البلاد وان الخلل يعود الي الدين والدنيا * وفى الامثال جور السلطان مائة عام ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة واذا جارت الرعية سلط الله عليها سلطانا جائراً وملكا قاهراً كما جاء في الحكاية

(حكاية) اعطي الحجاج بن يوسف الثقفي في بعض الايام قصة مكتوب فيها اتق الله ولا تجر على عباد الله كل هذا الجور فرقى الحجاج المنبر وكان فصيحاً فقال أيها الناس ان الله سلطني عليكم باعمالكم فان أنا مت فلا تخلصون من من الجور مع هذه الاعمال السيئة فان الله تعالي خلق امثالي كثيراً واذا لم اكن أنا كان من هو اكثر شرا مني . قال الشاعر

وما من يدا الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

(حكمة) سئل بزرجمهر أي الملوك أطهر فقال من أمنه الطاهرون وخاف منه الخائون . وأما السلطان الذي لا سياسة له فليس له فى أعين الناس خطر

ولا محل بل يكون الخلق عليه ساخطين ثم يذكرونه كل وقت بالقبيح الا ترى ان الانسان اذا كان من عوام الولاية وتولى عليها واراد ان يطلب الحساب من الرعية اول مايكلمهم بالهيبة ويظهر جاهه بالسياسة لعلمه ان الرعية انما ينظرونه بالعين الأولى

وفى هذا الباب حكاية عجيبة كان لابى سفيان بن الحرث ولد وكان يدعى زياد بن أبيه وكان قد ولد فى أيام الجاهلية ونفاه وتبرأ منه وقال ماهو لي تولد فلما وصل الامر الى معاوية قربه وأدناه وولاه ولاية العراق فلما وصل الى العراق وجد أهل العراق قوماعاثين يفسدون ويسرقون فقصد زيارة المسجد الجامع ورقى المنبر وخطب خطبة ثم قال بعد خطبته والله لئن خرج أحد بعد العشاء الآخرة لآخذن رأسه عن جسده فليعلم الشاهد الغائب . ثم أمر مناديا بذلك ثلاثة أيام فلما كان في الليلة الرابعة خرج زياد وقد مضى من الليل ثلثه فركب وجعل يطوف محال البلد فرأى اعرابيا ومعه غنم له وهو قائم فسأله زياد ماتصنع هاهنا فقال أتيت مساء ولم أجد موضعا أستقر فيه فنزلت مكاني الى أن اصبح وأبيع غنمي فقال له زياد أنا أعلم انك صادق وان أطلقتك خفت ان يذيع الخبر عني ان زيادا يقول مالا يفعل فتفسد سياستي وتنكسر هيبتي والجنة خير لك مما هنا ثم ضرب عنقه وجعل يسير فكل من رآه ضرب عنقه وحز رأسه فلما أصبح من الغد كان قد أخذ رؤس ألف وخمسمائة رجل ثم جعلها على باب داره مثل البيدر فتهوله الناس وجزعوا لما رأوا من فعله فلما كان الليل خرج وطاف فلقي ثلاثمائة رجل فاخذ رؤسهم فلم يقدر أحد بعد ذلك ان يخرج من منزله بعد العشاء الآخرة . فلما كان يوم الجمعة رقى المنبر وقال أيها الناس لا يغلق احد منكم دكانه بالليل ومهما سرق منكم كان غرامته على فلم يجسر احد منهم

أن يغلق دكانه تلك الليلة فلما كان من الغد أتاه رجل صيرفى وقال قد سرق مني البارحة أربعمائة دينار فقال له زياد تقدر أن تحلف على صحة قولك فقال نعم فحلفه وغرم له أربعمائة دينار وقال له اكتم هذا الامر ولا تشعر به أحداً فلما كان فى الجمعة الثانية اجتمع الناس لصلاة الجمعة وصعد زياد المنبر وقال اعلموا انه قد سرق من دكان الصيرفي أربعمائة دينار عينا وأنتم كلكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد عاد الى الرجل ماله وان لم تردوا ذلك فقد أمرت أن لا يمكن أحد منكم أن يخرج من الجامع وأمرت بقتلكم فى هذه الساعة ففي الحال لزموا من كان يتهمونه بالسرقة وقدموه بين يديه فردّ الذهب الذي كان سرقه فأمر بصلبه فى الحال * ثم انه سأل بعد ذلك أى محلة فى البصرة ليس فيها أمن فقيل محلة بنى الازد فأمر أن يترك فيها ثوب ديباج له قيمة ثقيلة ليلا بحيث لا يراه أحد فبقى أياما ملقى بحاله ولم يكن لاحد جسارة أن يقربه ولا يرفعه من مكانه فقال له أقاربه بعد ذلك ان السياسة خير الاشياء الا أنك لم ترحم المسلمين أولا وأهلكت خلقاً كثيراً فقال قد أخذت عليهم الحجة قبل ذلك بثلاثة أيام ومن شؤم مخالفتهم لم ينتهوا والذي أصابهم كان من شؤم أعمالهم

﴿ فصل ﴾

ولا ينبغي للسلطان أن يشتغل دائما بلعب الشطرنج والنرد . وشرب الخمر وضرب الكرة والصولجان والصيد. لان ذلك يمنعه ويشغله عن أمور الرعية فان لكل عمل وقتا فاذا فات الوقت عاد الربح خسراناً فان الملوك القدماء قسموا النهار أربعة أقسام . قسم منها لطاعة الله وعبادته . وقسم للنظر في الرعية

وانصاف المظلومين والجلوس بين العلماء والعقلاء ولتدبير الامور . وسياسة الجمهور وتنفيذ المراسم والاوامر وكتابة الكتب وارسال الرسل . وقسم للاكل والشرب والتزود من الدنيا وأخذ الحظوظ من الفرح والسرور . وقسم للصيدولعب الشطرنج والكرة وما أشبه ذلك

(حكمة) يقال ان بهرام كور قسم نهاره قسمين . وجمله شطرين . ففي النصف الاول كان يقضي حوائج الناس . وفي النصف الثاني كان يطلب الراحة ويقال انه في جميع عمره ما اشتغل يوماً تاماً بعمل واحد

وكان أنوشروان العادل يأمر أصحابه الثقات أن يصعدوا الى أعلى مكان في البلد فينظروا الى بيوت الناس فكل بيت لايخرج منه دخان نزلوا وسألوا عن حال أولئك القوم وما خطبهم فان كانوا في غم أعلموا الملك فكان يحمل غمومهم . ويزيل همومهم . ويجب على السلطان أن لا يرضى لغلمانه أن يتناولوا شيأ من الرعية بغير حق كما جاء في الحكاية

(حكاية) يقال انه كان قد ولي أنوشروان عاملا فأنفذ العامل اليه زيادة في الخراج ثلاثة آلاف درهم فأمر أنوشروان باعادة الزيادة الي أصحابها وأمر بصلب العامل . وكل سلطان أخذ من الرعية شيأ بالجور والغصب وخزنه في خزائنه كان مثله كمثل رجل عمل أساس حائط ولم يصبر حتي يجف ثم وضع البنيان عليه فلم يبق الاساس ولا الحائط . وينبغي للسلطان أن يأخذ مايأخذه من الرعية وأن يهب مايهبه بقدره لان لكل واحد من هذين حداً محدوداً كما جاء في الحكاية

(حكاية) يقال ان المأمون ولى يوماً أربعة نفر أربع ولايات فأعطي لواحد منهم منشور خراسان وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار . ثم أعطي

الآخر منشوراً بخورستان وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولي الآخر ولاية مصر وخلع عليه خلعة مثلها . وولي الآخر ولاية ارمينية وأعطاه خلعة مثلها ثم استدعي يومئذ موبذان وقال يادهقان هل كان لملوك العجم مثل هذه الخلع فانه بلغني ان خلعهم ما كانت تبلغ اكثر من أربعة آلاف درهم فقال الموبذان أطال الله بقاء أمير المؤمنين كان لملوك العجم ثلاثة ليست لكم (أحدها) أنهم كانوا يأخذون ما يأخذونه من الرعية بقدر ويعطونه بقدر (والثانى) انهم كانوا يأخذون من موضع يجوز الاخذ منه ويعطون لمن ينبغي أن يعطى (والثالث) انهم ما كان يخافهم الا أهل الريب فقال المأمون صدقت ولم يعد عليه جواباً

ولاجل هذا لما كشف المأمون تربة كسرى انوشروان وفتح تابوته وفتشه وجد صورته وهي بمائها ما بليت . والثياب بجدتها ما تغيرت ولا خلقت . والخاتم فى يده ياقوت أحمر كثير الثمن ما رأي المأمون قبله فصاً مثله وكان على فصه مكتوب به مه به نه مه به . ومعنى ذلك الاجود أكبر وليس الاجود اكبر فأمر المأمون أن يغطي بثوب نسج من الذهب وكان مع المأمون خادم فأخذ الخاتم من أصبع كسري ولم يشعر المأمون فلما علم به أعاده وأمر باهلاك الخادم وقال كاد يفضحني بحيث يقال عني الى يوم القيامة ان المأمون كان نباشا وانه فتح تربة كسري وأخذ خاتمه من أصبعه

(حكاية) سأل الاسكندر يوما حكيما من حكمائه وكان قد عزم على سفر فقال أوضحوا لى من الحكمة سبيلا أحكم فيه أشغالي . وأتقن فيه أعمالي . فقال كبير الحكماء أيها الملك لاتدخل قلبك حب شئ ولا بغضه لان القلب خاصته كاسمه وانما سمى قلبا لتقلبه وأعمل الفكر واتخذه وزيرا . واجعل العقل صاحبا ومشيرا * واجهد أن تكون متيقظا ولا تشرع فى

عمل أمر بغير مشورة وتجنب الميل والمحاباة في وقت العدل والانصاف فاذا فعلت ذلك جرت الاشياء على آثارك . وتصرفت فيها باختيارك . وينبغي أن يكون الملك وقوراً حليماً . وأن لا يكون طائشاً عجولاً . قالت الحكماء ثلاثة أشياء قبيحة وهي في ثلاثة أقبح . الحدة فى الملوك . والحرص فى العلماء . والبخل في الاغنياء

(حكاية) كتب الوزير يونان . الى الملك العادل أنوشروان وصايا ومواعظ فقال ينبغي ياملك العالم أن يكون معك أربعة أشياء دائمة . العقل . والعدل . والصبر . والحياء . وينبغي ياملك الزمان ان تنفي عنك الحسد والكبر وضيق الصدر ويريد به البخل والعداوة * واعلم ياملك الزمان ان الذين كانوا قبلك من الملوك مضوا والذين يأتون من بعدك لم يصلوا فاجتهد أن يكون جميع ملوك الزمان محبيك ومشتاقيك

(حكاية) يقال ان أنوشروان ركب يوما من أيام الربيع على سبيل الفرجة فجعل يسير في الرياض المخضرة . ويشاهد الاشجار المثمرة . وينظر الى الكروم العامرة فنزل عن فرسه . وسجد شكرا لربه وخر ساجدا ووضع خده على التراب زمانا طويلا فلما رفع رأسه قال لاصحابه ان خصب السنين . من عدل السلاطين . وحسن نيتهم . الى رعيتهم . فالمنة لله تعالي الذى أظهر حسن نيتنا فى سائر الاشياء وانما قال ذلك لانه جربه في الاوقات

(حكاية) يقال أنوشروان الملك العادل خرج يوما الي الصيد فانفرد من عسكره خلف الصيد فرأى ضيعة بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة وأتي باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية فابصرته ثم عادت الي البيت فدقت قصبة واحدة من قصب السكر ومزجت ماعصرته

منها بالماء ووضعته فى القدح فرأي فيه ترابا وقذى فشرب منه قليلا قليلا حتى انتهى لآخره وقال للصبية (سادناس) أي نعم الماء لولا قذي كدره فقالت (ياشرهيك) أنا عمدا ألقيت فيه القذي فقال ولم فعلت ذاك فقالت رأيتك شديد العطش ولو لم يكن فيه القذي لشربته نوبة واحدة وقد يضرك شربه فتعجب أنو شروان من كلامها وعلم انها قالته عن ذكاء وفطنة . ثم قال لها من كم عصرت ذلك الماء فقالت من قصبة واحدة فتعجب أنوشروان وأضمر فى نفسه انه اذا عاد يأمر بزيادة الخراج على تلك الناحية . ثم عاد الي تلك الناحية بعد وقت آخر واجتاز على ذلك الباب منفردا وطلب ماء فخرجت اليه تلك الصبية بعينها فعرفته ثم عادت لتخرج الماء فأبطأت عليه فاستعجلها أنوشروان وقال لاى شئ أبطأت قالت لانه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك وقد دققت ثلاث قصبات ولم يخرج منها قدر ما كان يخرج من قصبة واحدة فقال أنوشروان وما سبب ذلك العجز . فقالت سببه تغير نية السلطان فقد قيل انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم طارت بركاتهم . وقلت خيراتهم . فضحك أنوشروان وعجب من قول الصبية وأزال من نفسه ماكان أضمره لهم وتزوج الصبية لحسن ذكائها وفصاحة كلامها

(حكمة) يقال ان الصادقين من الناس ثلاثة الانبياء والملوك والمجانين . وقيل السكر جنون وان المجنون يخاف من السكران لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل لمن يبقى فى سكر الغفلة دائما كما قال الشاعر .

من أسكرته الخمر في عقله * ليس عليه ان صحا من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة * يصح اذا ما الملك عنه انتقل

والقليل جدا من كان من سكر سلطنته صاحيا وكان المقدم على أعماله ثقة نصوحا معينا . وعلامة سكر السلطان ان يسلم وزارته الى محتاج معوز ثم يستديمه ويتمسك به الى أن تزول حاجته . وتنقضي فاقته . ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثله مثل من يربى طفلا صغيرا الي ان يصير بالغا كبيرا يصلح للاشغال . وامضاء الاعمال . ثم يقتله ويستأصله

قيل أربعة أشياء على الملوك من جملة الفرائض وهي ابعاد الادنياء عن مملكتهم . وعمارة المملكة بتقريب العقلاء . وحفظ المشايخ واولى الحكمة والتجربة والزيادة فى أمر الملك بالاقلال من الاعمال المذمومة

اشارة لطيفة لما تولي الامر عمر بن عبد العزيز كتب الي الحسن البصري أن أعنى بأصحابك فكتب اليه الحسن البصرى اما طالب الدنيا فلا ينصح لك . وأما طالب الآخرة فلا يرغب فيك * ولا يجوز للسلطان أن يسلم وزارته ولا عملا من أعماله الي من ليس بأهل فان سلم الاعمال الي ذلك الرجل فقد أفسد ملكه وظهر له الخلل الوافر من كل وجه ومن كل جانب كما قال الشاعر

البيت اذ ماحان منه خرابه * ظهر التخلخل من أساس الحائط
واذا تولى الملك غير رجاله * ولوا الامور لكل قدم ساقط

وينبغي لمن خدم الملوك أن يكون كما قال الشاعر

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقي أعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت أعمي * واخرج اذا ماخرجت أخرس

وأما من تبسط مع السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولد السلطان فليس للانبساط معهم في خدمتهم وجه كقول الشاعر

اذا كنت للسلطان نجلا فداره * وخف منه ان أحببت رأسك تسلم

ومثل من تبسط مع السلطان كمثل الحواء الذي يكون دهره مع الحيات يأكل معها وينام معها * أوكرجل فى البحر بين التماسيح التي تبلع الناس فلا يزال مخاطراً *

(حكمة) قيل ويل لمن ابتلي بصحبة السلاطين فانهم ليس لهم صديق ولا قرابة ولا خادم ولا ولدولا احترام لاحد الا من كانوا محتاجين اليه لعامه أو لشجاعته فاذا أخذوا حاجتهم منه لم يبق لهم عنده مودّة ولم يبق له عندهم وفاء ولا حياء واكثر أشغالهم رياءيستصغرون كبار ذنوبهم ويستعظمون صغار ذنوب غيرهم . قال سفيان لا تصحب السلطان واياك وخدمته لانك ان كنت له مطيعاً أتعبك . وان خالفته قتلك وأعطبك

(حكاية) يقال ان يزدجرد بن شهريار دخل على والده فى وقت لم يكن لاحد اذن فى الدخول فقال شهريار لبهرام امض واضرب الحاجب الفلانى ثلاثين خشبة واطرده عن الدركاه وأقم عوضه فلانا الحر *وكان عمر يزدجرد يومئذ ثلاث عشرة سنة فعزل ذلك الحاجب الاول عن الباب فعاد يزدجرد فى بعض الايام وأراد أن يدخل على والده شهريار فجعل الحاجب يده في صدره ورده على عقبه وقال ان عدت ورأيتك ههنا ضربتك ستين خشبة ثلاثين لاجل الحاجب المعزول وثلاثين لئلا تعود تدخل على الملك في غير وقت الاذن وان كنت ولده لئلا تجلب الي الضرب والهوان والطرد

وأصلح الاشياء للملك أن لا يباشر الأسباب بنفسه ويحفظ ناموسه لان كثيراً من الارواح يتعلق بروحه وصلاح الرعية فى حياته . وكذا ينبغي أن لا يجور على نفسه ولا يجور على الناس . ولا ينبغي للملك أن يجازف في

الاشغال ولا يتساهل فيها . ويجب عليه أن ينيم على فراشه كل ليلة غيره ويتحول بنفسه عن ذلك الموضع حتى اذا قصده عدو لاتلاف نفسه وجد فى مكانه غيره فلا تصل يد عدوه اليه كما جاء في الحكاية

(حكاية) يقال انه انهزم خسرو بن أبرويزمن بهرام جور وقال هربت وان كان هربى عيبالاخلاص بهربى أرواح جماعة من أصحابى لانى ان هلكت هلك بسببي ألوف من الخلائق. والمقصود من المقال ان زماننا هذاغيرموافق والناس فيه بين قبيح الفعل وعاقل والملوك مشغولون بالدنيا وحب المال ولا يجوز الاهمال والتغافل بين أناس السوء . وفى امثال العرب(العبديقرع بالعصا. والحر تكفيه الاشارة) وهذا المثل يضرب في من له أصل ومن لا أصل له وقدكان للناس وقت وزمان يؤمن فيه رجل واحد جميع أهل الدنيا ويسخرهم بدرة كان يحملها على عاتقه وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه والفضل فى ذلك الزمان للوقت والرعية مشغولون ولو عوملوا بتلك المعاملة لم يحتملوا ولبدا فيهم الفساد * لكن ينبغي للسلطان فى هذا الوقت أن يكون له أتم سياسة وهيبة ليشتغل كل انسان بشغله ويأمن الناس بعضهم من بعض

ونحن الآن نورد خبرا يستفيد به القارئ والسامع *سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاي شئ لا تنفع الموعظة هؤلاء الخلق فقال الخبر المعروف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوصي عند وفاته أشار بأصابعه الثلاث وقال لاتسألوني عن حال أولئك فقال قوم من الصحابة أشار الي ثلاثة أشهر وقال قوم الي ثلاث سنين وقال قوم الى ثلاثين سنة وقال قوم ثلاثمائة سنة يعني اذا مضت ثلاثمائة سنة فلا تسألونى عن حال أولئك

الرجال فاذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتسألونى عن حال أولئك فكيف ينفع الوعظ فيهم * وسئل عن هذا السؤال فقال كان الناس في ذلك الوقت نياما وكان العلماء أيقاظا واليوم العلماء نيام والخلق موتى فأي نفع لكلام النائم مع الميت

أما زماننا هذا فهو الزمان الذى هلك فيه الخلائق جميعهم وقد خبثت أعمال الناس ونياتهم واذا لم يكن فيه للسلطان سياسة على الخلائق ولا هيبة لم يثبتوا على الطاعة والصلاح * وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم العدل من الدين وفيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وفيه يكون خير الرعية وأمنهم وعافيتهم وكل الاعمال توزن بميزان العدل. قال الله تعالي (والسماء رفعها ووضع الميزان) يعنى به العدل. وقال عز وجل في موضع آخر (الذي انزل الكتاب بالحق والميزان) واحق الناس بالجاه والمملكة من كان فى قلبه مكان للعدل. وبيته مقر ذوي الدين والفضل. ورأيه من ارباب الدين والعقل. وصحبته مع العقلاء. ومشورته مع ذوى الآراء. كما قال الشاعر

يده خزانة جوده * والقلب خازن قصده
قد رتبت أبوابه * ابدا لطالب عدله

قال الحسن البصرى كل ملك عظم أمر الدين كان عند رعيته مهيبا عظيم القدر والامر ومن عرف الله تعالي تعرف الخلق به واختاروا ان يكونوا معارفه كما قال الشاعر

من عرف الله تعالي اسمه * آثر كل الخلق عرفانه
طوبى لمن اول ماحازه * معرفة الخالق سبحانه

قال بزرجمهر ينبغي للملك أن لايكون في مملكته أقل من البستاني في حفظ

بستانه اذا زرع الريحان ونبت بينه الحشيش استعجل فى قلع الحشيش كيلا يضبط أماكن الريحان

قال أفلاطون علامة السلطان المظفر على العدو أن يكون قويا في نفسه لازما لصمته مفكراً في رأيه وتدبيره بقلبه وان يكون عاقلا في ملكه شريفا فى نفسه حلوا فى قلوب الرعية رفيقا فى سائر أعماله. مجربالعهد من تقدمه خبيرا باعمال من هو أقدم منه . صابا فى دينه وعزمه . وكل ملك تجمعت فيه هذه الخلال . وحصلت له هذه الخصال . كان فى عين عدوه مهيبا . ولا يجد العائب له معيبا. اذا كان الملك يري ان حوله وقوته بالله جلت قدرته وان كان عدوه قويا فانه يظفر به وينتصر عليه * مثاله قول الله عز وجل « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

﴿ نكتة ﴾ قال سقراط الحكيم علامة السلطان الذي يدوم ملكه أن يكون الدين والعقل منه حيين فى قلبه ليكون فى قلوب الرعية محبوبا * وأن يكون العقل قريبا * وأن يكون طالبا للعلم ليعلم من العلماء وأن يكون فضله غزيرا * وبيته كبيرا * ليعظم عند الفضلاء * ويربى الادباء ليتفرع عنه الادباء * وان يبعد عن مملكته متطالبى العيوب لتبعد عنه العيوب * وكل ملك لم يكن له مثل هذه الخصال لايفرح بمملكته * وتسرع اليه دواعي هلكته * ويتلف أقرباؤه على يده وجلساؤه لان القيل يظهر من عدم العقل كما قال الشاعر

يقول الحكيم المقال الاسدّ * دع المزح اذ لست فيه أسد
تحفظ بنفسك مع مقلتيـ * ـك فعينك للملك تجني الحرد
وخف أن تنازعه ملكه * وفى حالة السخط عنه ابتعد
فتقتل عن سخطه لا لجرم * ضياعا وليس عليه قود

سمعت عن الخمر أن الملـيك يسكر منها قبيل الأمد

(اشارة وحكمة) سال معاوية الاحنف بن قيس فقال ياأبا يحيي كيف الزمان فقال الزمان أنت ان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد الزمان * وقال الاحنف بن قيس ان الدنيا عمرت بالعدل فكذلك تخرب بالجور لان العدل يصفو نوره . وتلوح تباشيره . من مسيرة ألف فرسخ والجور يتراكم ظلامه . ويسود قتامه من مسيرة ألف فرسخ . وقال الفضيل بن عياض لوكان دعائى مستجابا لم أدع به لغير السلطان العادل لان السلطان العادل صلاح العباد . وزينة البلاد . وقد جاء فى الخبر * عن سيد البشر * صلوات الله وسلامه عليه المقسطون على منابر اللؤلؤ يوم القيامة

(حكاية) كان الاسكندر يوما على تخت مملكته وقد رفع الحجاب فقدم بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك سرقت ولم يكن لي شهوة السرقة ولم يطلبها قلبي فقال له الاسكندر لا جرم تصلب ولا يطلب قلبك الصلب ولا يريده * فواجب على السلطان أن يعدل وينظر غاية النظر فيما يأمر به من السياسة لينفذ ذلك في أصحابه مثل وزيره وحاجبه ونائبه وعامله لان كثيراً من سياسة السلطان وعدله ونظره وحسن تأمله يغطي عليه بالبراطيل ويغرب وقته وذلك من تغافل الملك وتهاونه فينبغي ان يجتهد غاية الاجتهاد في تدارك ذلك كما جاء فى الحكاية

(حكاية) كان للملك كستاشب وزير اسمه راشت روش وبهذا الاسم كان يظن كستاشب انه تقى صالح وما كان يسمع فيه كلام أحد يقدح فيه ولم يكن يخبر حاله فقال راشت روش لخليفة الملك ان الرعية قد بطرت الآن من كثرة عدلنا فيهم وقلة تأديبنا لهم وقد قيل اذا عدل السلطان جارت الرعية

والآن قد قامت منهم رائحة الفساد ويجب علينا ان نؤدبهم ونزجرهم ونبعد المعتدين ونقرب الصالحين . ثم انه كان كل من الزمه الخليفة ان يؤدبه ارتشى منه راشت روش وأطلقه الي أن ضعفت الرعية وضاقت بها الاحوال . وخلت الخزائن من الاموال . فظهر لكستاشب عدو فاعتبر خزائنه فلم يجد فيها شيأ يصلح به أمور عسكره فركب يوما في شغل عليه وسار في البرية فرأى من بعد قطيع غنم فقصده فرأى خيمة مضروبة والاغنام نيام ورأى كلبا مصلوبا فلما قرب من الخيمة خرج اليه شاب فسلم عليه وسأله النزول فنزل فاكرمه وقدم بين يديه ما حضر كما وجب فقال كستاشب أخبرنا عن حال هذا الكلب وصلبه قال يامولانا كان هذا الكلب أمينا لي على أغنامى فصادف ذئبة فكان ينام معها ويقوم معها والذئبة كل يوم تأتى وتأخذ من الغنم راسا بعد راس فجاء في بعض الايام صاحب الموضع وطلب منى حق المرعى فقعدت اتفكر واحسب حساب الغنم وهى تنقص فى الحساب ورأيت ذئبا أخذ شاة والكلب ساكت مكانه فعلمت انه كان سبب تلف الغنم وانه كان يخون أمانته فلزمته وصلبته فاعتبر كستاشب وجعل يتفكر في نفسه وقال رعيتنا اغنامنا فيجب أن نسأل نحن أيضا عنها لنصل الى حقيقة أمرها فرجع الي داره فجعل ينظر في الروزمجات فاذا هي جميعها شفاعات راشت روش فضرب مثلا وقال من اغتر بالاسم من ذوي الفساد . بقي بغير زاد . ومن خان في الزاد بقي بلا روح ثم أمر بصلب الوزير وهذه الحكاية مكتوبة فى كتاب بادركارنامه وفيها يقول الشاعر

وما أنا بالمغتر باسمك انما * تسميت كى تحتال فى طلب الرزق

ومن يجعل الاسماء فخا لرزقه * يعد غير ذى روح على الجذع مستلق

(حكاية) يقال انه كان لعمرو بن ليث نسيب يعرف بابي جعفر بن زيدويه

وكان عمرويه حفياً ومن جملة محبته له انه كان يصله من هراة فى كل سنة مائة جمل حمر الوبر على كل جمل حمل من الحوائج فانفذ عمرو من كل حاجة حملا الى دار أبي جعفر بن زيدويه وقال ليوسع عليه فى مطبخه فقيل لعمرو بن ليث ان أبا جعفر قد بطح غلاما له وقد ضربه عشرين خشبة فامر أن يحضر ثم أمر بكل سيف فى خزانته فقال يا أبا جعفر اختر من هذه السيوف أجودها واعزله ناحية فجعل أبو جعفر يتخير وينتقى الي أن أفرد منها مائة سيف فقال اختر الآن منها سيفين فاختار أبو جعفر منها سيفين أجودها فقال عمرو ارسم الآن ان يجعلا في قراب واحد فقال أبو جعفر أيها الامير كيف يمكن ان يكون سيفان فى قراب واحد فقال عمرو ابن ليث فكيف يمكن أن يكون أميران فى بلد واحد فعلم أبو جعفر انه اخطأ فقبل الارض والتمس العفو والاقالة فقال عمرو بن ليث لولا حق القرابة ما جئت بيتك نخل عن هذا الامر لنا فقد عفونا هذه النوبة عنك

(حكمة) قال ازدشير اذا كان الملك عاجزا عن اصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر على رد العوام الي الصلاح قال الله تعالي (وأنذر عشيرتك الاقربين) فالعرب تقول انه ليس شيء أضيع للملك وأفسد للرعية من تعذر الاذن فى الدخول وتكاثر الحجاب . وصعوبة الحجاب . واذا كان الملك سهل الحجاب لم يمكن العمال أن يجوروا على الرعايا وخافت الرعية من جور بعضهم على بعض ومن سهولة الحجاب يكون للملك على سائر العمال اطلاع . ولا يجوز للسلطان أن يكون غافلا لتكون الهيبة من ناموس المملكة باقية ويستريح من الهموم الحادثة عن الغفلة

(حكاية) يقال ان ازدشير كان متيقظا ذا فطنة بالامور بحيث اذا جاءه ندماؤه من الغد حدث كل واحد منهم بما صنعه وكان يقول لاحدهم انك

البارحة فعلت الشيء الفلاني ونمت مع زوجتك ومع جاريتك الفلانية ومهما كان يجري لندمائه يحدثهم به من الغد بحيث انهم كانوا يقولون ويظنون ان ملكا من السماء يأتي ويعرفه بافعالهم وكذلك كان السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله

(حكمة) قال أرسطاطاليس خير الملوك من كان فى حدة نظره على مثال العقاب وكان الذين حوله كالعقبان لا كالجيف يعني اذا كان السلطان جيد النظر ذا يقظة بالامور ذا فكرة فى العاقبة وكان المقربون منه وخواص دولته بهذه الصفة انتظمت أحوال مملكته. واستقامت أمور أهل ولايته

(حكمة) قال الاسكندر خير الملوك من بدل السنة السيئة بالسنة الحسنة وشر الملوك من بدل السنة الحسنة بالسنة السيئة

(حكمة) قال أبرويز ثلاثة لايجوز للملك التجاوز عنهم ولا يصفح عن ذنوبهم ، من قدح فى ملكه ، أو أفسد حرمه ، أو أفشى سره

قال سفيان الثوري خير الملوك من جالس أهل العلم ويقال ان جميع الاشياء تتجمل بالناس والناس يتجملون بالعلم وتعلو أقدارهم بالعقل وليس شيء خيرا من العقل والعلم فان العلم بقاء العز ودوامه . والعقل بقاء السرور ونظامه . ومن اجتمع العلم والعقل فيه فقد اجتمعت فيه اثنتا عشرة خصله . العفة . والادب . والتقى . والامانة . والصحة . والحياء . والرحمة . وحسن الخلق . والوفاء والصبر . والحلم . والمداراة فى مكانها . وهذه من خواص آداب الملك . وينبغي ان يكون مع العقل العلم كما أن مع النعمة الشكر . ومع الصباحة الحلاوة . ومع الاجتهاد الدولة فاذا جاءت الدولة حصل المراد جميعه

(حكاية) قال عبد الله بن طاهر ان يعقوب بن ليث علا أمره . وارتفع

قدره . وظهر اسمه وذكره . وملك كرمان وفارس وخورستان وقصر الواق .وكان الخليفة في ذلك الزمان المعتمد فكتب اليه المعتمد انك كنت رجلا صفاراً فمن أين تعلمت تدبير الملك فكتب اليه يعقوب جوابا وقال ان المولى الذى آتاني الدولة آتانى التدبير. وفي عهد ازدشير مكتوب كل عزيز لا يضع قدمه على بساط العلم كانت عاقبته ذلا وكل عبد ليس معه خوف من الله تعالى وان كان تاماً فان مصيره الى الندم (حكمة) قال عبد الله بن طاهر يوماً لأبيه كم تبقي هذه الدولة فينا وتبقى في بيتنا قال مادام بساط العدل والانصاف مبسوطاً فى هذا الايوان (حكمة) كان المأمون قد جلس فى بعض الايام لفصل الدعاوى والاحكام فرفعت اليه قصة فسلم القصة الي وزيره الفضل بن سهل وقال اقض قصته وارفع هذه القصة فى هذه الساعة فان الفلك في سرعة دورانه قلّ ان يثبت على حاله

قال مؤلف الكتاب يجب على الملوك العقلاء . والافاضل الألباء. ان ينظروا فى هذه الاخبار ليأخذوا نصيبا من أيام دولتهم وينصفوا المظلومين .ويقضوا حوائج السائلين . ويتيقنوا ان هذا الفلك لا يثبت على دور واحد لانه لا اعتماد على الدولة وان القضاء سماوي لا يرد بالعساكر . وكثرة الاموال والذخائر . واذا انحلت الدولة وتلاشت الاموال . وتفانت الرجال . فلا ينفع الندم . اذا زلت القدم كما جاء في الحكاية

(حكاية) ان مروان آخر خلفاء بني أمية عرض العسكر فكان ثلاثمائة ألف رجل بالعدد الكاملة فقال وزيره ان هذا لمن أعظم الجيوش فقال له مروان اسكت فانه اذا انقضت المدة . لم تنفع العدة . واذا نزل القضاء السماوى وان كان العسكر عظيما كثيراً بان قليلاً حقيراً . ولو ملكنا الدنيا بأسرها فلا بدأن

تنزع منا ولمن وفت الدنيا حتي تنى لنا

(حكمة) قال أبو الحسين الاهوازى في كتاب الفرائد والقلائد الدنيا لاتصفو لشارب . ولا تبقي لصاحب. نخذ زادا من يومك لغدك فلا يبقي يوم عليك ولا غد . ويقال انه كان على قبر يعقوب بن ليث مكتوبا هذه الابيات عملها قبل موته وأمر أن تكتب على قبره وهي هذه

سلام على أهل القبور الدوارس * كأنهم لم يجلسوا فى المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة * ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس
فقد جاءني الموت المهول بسكرة * فلم تغن عنى ألف آلاف فارس
فيازائر القبر اتعظ واعتبر بنا * ولا تك في الدنيا هديت بآنس
خراسان نحويها وأطراف فارس * وما كنت عن ملك العراق بآيس
سلام على الدنيا وطيب نعيمها * كأن لم يكن يعقوب فيها بجالس

﴿ سؤال وجواب ﴾ سئل ملك كان قد زال عنه الملك فقيل لاي سبب انتقلت الدولة عنك وسلمت الي غيرك وسلبت منك فقال لاغتراري بالدولة والقوّة ورضاى برأيي وعلمي وغفلتي عن المشورة وتوليتى لأصاغر العمال * على اكابر الاعمال . وتضييعي الحيلة في وقتها وقلة تفكري فى الحيلة وإعمالها وقت الحاجة اليها والتباطئ والوقفة فى مكان العجلة والفرصة والاشتغال هن قضاء الحوائج * وقيل أى الاشرار اكثر شراً فقال الرسل الخؤنة الذين يخونون في الرسالة لاجل اطماعهم فكل خراب المملكة منهم كما قال ازدشير فى حقهم كم سفكوا من الدماء وكم هزموا من الجيوش . وكم هتكوا من أستار ذوي الحرمات الاحرار . وكم من يمين كذبوها بخيانتهم . وكم من عهود نقضوها بقلة أمانتهم وكم اجتاحوا من الاموال .وكان ملوك العجم يحرزون ويتحفظون

وما كانوا ينفذون رسولاً الا بعدأن يجربوه ويمتحنوه (حكمة) يقال ان ملوك العجم كانوا اذا أرسلوا رسولا الي الملوك أرسلوا معه جاسوساً ليكتب جميع ماقاله وما سمعه فاذاعاد الرسول قابلوا كلامه بالنسخة التي كتبها الجاسوس فان صح مقاله علموا انه صادق فكانوا يرسلونه بعد ذلك الي الاعداء

(حكاية) أرسل الاسكندر رسولاً الى الملك دارا بن دارا فلما عاد الرسول وأعاد الجواب شك الاسكندر في كلة من كلامه فلزمها عليه فقال الرسول يامولاى أنا سمعت هذه الكلمة منه بأذنيّ هاتين فأمر الاسكندر أن يكتب ذلك اللفظ بعينه وأنفذه على يد رسول آخر الى دارا بن دارا فلما وصل وعرض المكتوب عليه قرأه وطلب سكيناً وقلع تلك الكلمة من الكتاب وأعاده الى الاسكندر وكتب اليه انأس الملك على حسن نية الملك وصحة طبعه وأساس صحة السلطان على صحة لفظ السفراء وصدق مقالة الرسل الامناء لان الرسول يقول ما قاله عن لسان الملك ويسمع ما يسمعه من الجواب بسمع الملك والآن فقد قلعت تلك الكلمة من الكتاب لانها لم تكن من كلامي ولم أجد سبيلاً الي قطع لسان رسولك فلما عاد الرسول وأعاد الجواب الي الاسكندر استدعى الرسول وصاح عليه وقال له ويلك من وضعك على اتلاف ملك من الملوك بتلك الكلمة التى تكلمت بها فأقر الرسول وقال انه قصر فى حق وأسخطني فقال اسكندر سبحان الله أظننت انا أرسلناك لتصلح أمورك أو تسعى فى حقوق الناس الينا ثم أمر به فسل لسانه من قفاه

﴿ فصل ﴾

يجب على السلطان انه متى وقعت رعيته في ضائقة أو حصلوا فى شدّة

وفاقة أن يعينهم لا سيما فى أوقات القحط وغلاء الاسعار حيث يعجزون عن التعيش ولا يقدرون على الاكتساب فينبغي حينئذ للسلطان أن يعينهم بالطعام ويساعدهم من خزائنه بالمال ولا يمكن أحداً من حشمه وخدمه وأتباعه أن يجور على رعيته لئلا يضعف الناس وينتقلوا الي غير ولايته . ويتحولوا الي سوي مملكته.فينكسر ارتفاع السلطان.ويقل حاصل الديوان.وتعود المنفعة على ذوي الاحتكار . الذين يسرون بغلاء الاسعار . ويقبح ذكر الملك ويدعي عليه ولاجل هذا كان الملوك المتقدمون يحذرون من هذا غاية الحذر ويراعون الرعايا من خزائنهم.ويساعدونهم من ذخائرهم ودفائنهم

(حكاية) يقال انه كان رسم ملوك العجم ان يأذنوا لرعاياهم فى الدخول اليهم في أيام النوروز والمهرجان وكان المنادى ينادي قبل ذلك بثلاثة أيام ان استعدوا لليوم الفلانى ليأخذ كل من الناس أهبته . ويصلح أمره ويكشف قصته . ويتيقن حجته . ومن كان له خصم يعلم انه يتألم منه عند الملك طلب رضاه فاذا كان ذلك اليوم وقف المنادي على باب الملك ونادي ان منع انسان انسانا من الدخول على الملك كان الملك بريئا من دمه ثم كانت تؤخذ القصص من الناس وتوضع بين يدي الملك وكان ينظر فى كل واحدة منها على الانفراد وموبذ موبذان قاعد عن يمينه و موبذ موبذان بلسانهم قاضى القضاة وان كان في القصص قصة يتالم فيها من الملك قام الملك من مقامه وبرك بين يدى موبذ موبذان مقابل خصمه وقال انصف أولا هذا الرجل مني ولا تخلد الى الميل والمحاباة ولا تحترني عن نفسك لان الله تعالي اذا أهدي الحظوظ الى عباده اختار لهم وولى عليهم خير خلقه واذا أراد أن يرى عباده أي قدر لذلك الخليفة عنده أطلق على لسانه مالم يطلق على لسانك ثم

كان ينظر الموبذان فان كان بين الملك وخصمه دعوي صحيحة وقامت البينة على الملك أخذ الحق منه بتمامه وكماله * وان لم يكن بين الملك وخصمه دعوى صحيحة وكانت دعواه باطلة لا يثبت على صحتها حجة أمر بعقوبته ونادي عليه هذا جزاء من يريد عيب الملك والمملكة وكان الملك اذا فرغ من الدعاوى واستوي على سرير ملكه وضع التاج على مفرقه وأقبل على جماعته وخاصته وقال انما انصفت من نفسى لئلا يطمع احد منكم في الظلم والجور على أحد فكل من كان له منكم خصم فليرضه . وكان يبعد فى ذلك اليوم كل من كان قريباً منه ومن كان قويا ضعف عنده وكانت الملوك على هذا السبيل وعلى هذا المذهب الي أيام يزدجرد الاثيم فانه غير قواعد بنى ساسان وظلم الخلق وافسد حتي جاء فى بعض الايام فرس فى غاية الجودة والكمال بحيث انه لم ير أحد فى ذلك الزمان مثله فى حسن خلقته . وجمال هيئته. فدخل من باب الدار واجتهد جميع من في عسكره ان يلزموه فامتنع منهم ولم يقدروا على امساكه حتى وصل قريبا من يزدجرد فوقف الي جانب الايوان ساكنا فقال يزدجرد تنحوا عن هذا الفرس فلا يقربه أحد منكم فانه هدية من الله تعالى خاصة لى فنهض من مكانه وجعل يمسح وجهه قليلا ثم أمر يده على ظهر الفرس والفرس ساكن لا يتحرك فاستدعي يزدجرد السرج فأسرجه بيده وجذب حزامه وأوثقه وانحرف نحو كفله ليضع الثفر فيه فرسه الفرس على فؤاده رفسة محكمة فخر ميتا فى الحال وخرج الفرس ولم يعلم أحد من أين جاء ولا الي أين ذهب فقال الناس كان هذا الفرس ملكا أرسله الله تعالي ليهلكه ويخلصنا من جوره وظلمه

(حكاية) قال القاضي أبو يوسف حضر عندى في مجلس حكيمى يحيي

ابن خالد البرمكى مع خصم له مجوسي فادعي المجوسي عليه فطلب منه الشاهد فقال مالي شاهد فحلفه فحلفت يحيي بن خالد وأرضيت خصمه باحلافه وساويت فى الحكم بين يحي وبين المجوسى لعزة الاسلام وما ملت قط مع أحد ولا حابيت أحدا خوفا أن يسألنى الله تعالي عن ذلك بل يجب ان يعرف قدر الزعماء والاكابر وينبغي للاكابر أن لا يظلموا أصاغرهم وان يعظموا أمر الحق ويطيعوا أمر السلطان ولا يعصوه فى حال ليكونوا قد عملوا بقول الله تعالي (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) ومن يجعل الله له هذه المرتبة الشريفة . والدرجة المنيفة . ويقرن طاعته بطاعته جل اسمه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب على الخلق أن يطيعوه ويخافوه ويجب على السلطان شكر هذه النعمة والطاعة لربه تعالي وامتثال ماأمره به من العدل والاحسان والرأفة بالمظلومين . فقد قيل احذروا من دعاء المظلومين وخافوا من ظلم من لا ينتصر من ظلمه الا بدمع عينيه فما دون دعاء المظلوم حجاب . ودعاؤه مستجاب . لاسيما الدعاء فى الاسحار . والتضرع في هدو الليالى الي الجبار. كما قال الشاعر

فلا تعجلن بالجور مادمت قادرا * فآخره اثم وخوف عذاب

تنام وما المظلوم عنك بنائم * ودعوته لاتنثنى بحجاب

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم تأسفت على موت أربعة من الكفار على أنوشروان لعدله وحاتم الطائى لسخائه وامرئ القيس لشعره وأبي طالب لبره

﴿ الباب الثانى فى سياسة الوزارة وسيرة الوزراء ﴾

اعلم أن السلطان يرتفع ذكره . ويعلو قدره . بالوزير اذا كان صالحاً

كافياً عادلاً لانه لا يمكن أحداً من الملوك أن يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير ومن انفرد برأيه زل من غير شك . ألا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته أمره الله تعالى بالمشاورة لأصحابه العقلاء العلماء فقال عز من قائل « وشاورهم فى الامر » . وأخبر فى موضع آخر عن موسي عليه السلام (واجعل لي وزيراً من أهلى هرون أخي اشدد به أزرى وأشركه فى أمري) واذا لم يستغن الانبياء عليهم السلام عن الوزراء واحتاجوا اليهم كان غيرهم من الناس أحوج

« سئل » ازدشير بن بابك أي الاصحاب أصلح للملك فقال الوزير العاقل المتقن الامين الصالح التدبير ليدبر معه أمره ويشير اليه بما فى نفسه . وعلى السلطان أن يعامل الوزير بثلاثة أشياء (أحدها) اذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه هفوة لا يعاجله بالعقوبة (الثاني) اذا استغني في خدمته وأينع ظله في دولته لا يطمع فى ماله وثروته (الثالث) اذا سأله حاجة لا يتوقف فى قضاء حاجته . وينبغي أن لا يمنعه من ثلاثة أشياء. وهي متى أحب أن يراه لا يمنعه من رؤيته. وأن لا يسمع فى حقه كلام مفسد . ولا يكتم عنه شيأ من سره لان الوزير الصالح حافظ سر السلطان ومدبر أحوال المملكة وعمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيبة والقدرة وله الكلام على الاعمال واستماع الاجوبة وبه يكون سرور الملك وقمع أعدائه وهو أحق الناس بالاستماع له وتفخيم القدر . وتعظيم الامر . وقال لقمان لابنه اكرم وزيرك لانه اذا رآك على أمر لا يجوز أن يوافقك عليه . وينبغي للوزير أن يكون مائلا في الامور الى الخير متوقياً من الشر واذا كان سلطانه حسن الاعتقاد . مشفقاً على العباد . كان له عونا على ذلك وأمره بالازدياد .

واذا كان سلطانه ذا حنق أو كان غير ذي سياسة كان على الوزير أن يرشده قليلا قليلا بألطف وجه ويهديه الي الطريق المحمودة * وينبغي أن يعلم ان دوام الملك بالوزير وان دوام الدنيا بالملك . وينبغي أن يعلم انه لا يجوز له أن يهتم بغير الخير ويعلم انه أول انسان يحتاج اليه السلطان

« وسئل » بهرام جور الى كم يحتاج السلطان حتي تتم سلطنته وتتكامل بالسرور دولته . فقال الي ستة من الاصحاب.الوزير الصالح ليظهر اليه سره * ويدبر معه رأيه ويسوس أمره * والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة الى النجاة والسيف القاطع والسلاح الحصين . والمال الكثير الذى يخف حمله ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت . والزوجة الحسناءلتكون مؤنسة لقلبه . مزيلة لكربه . والطباخ الخبير الذي اذا أمسك شيأ دبره بلطفه

(حكمة) قال اردشير حقيق على الملك أن يكون طالباً لاربعة فاذا وجدهم احتفظ بهم . الوزير الامين . والكاتب العالم . والحاجب المشفق . والنديم الناصح . لانه اذا كان الوزير أميناً دل على بقاء الملك وسلامته . واذا كان الكاتب عالماً دل على عقل الملك ورزانته . واذا كان الحاجب مشفقاً دل على رضا الملك عن رعيته . ولم يغضب على أهل مملكته . واذا كان النديم صالحاً دل على انتظام الامر وصلاحه

(حكمة) قال موبذان في عهد أنوشروان انه لا يمكن حفظ السلطنة الا بالاصحاب الاخيار الناصحين المساعدين ولا ينفع خير الاصحاب الا اذا كان الملك تقياً لانه ينبغي أن يكون الاصل جيداً ثم الفرع . ومعنى تقوي السلطان وصدقه وصحته أن يكون صحيحاً في سائر الامور يأمر بالصحة بأقواله وأفعاله ليصبح بصحته سائر حشمه ورعيته وأن يكون واثقاً بالله تعالي وان يري ان

قوّته وقدرته وظفره باعدائه ونصرته ووصوله الى مراده من الله تعالى وأن لا يعجب بنفسه فان أعجب خشي عليه الهلاك كما جاء فى الحكاية

(حكاية) يقال ان سليمان عليه السلام كان جالساً على سرير ملكه وقد حملته الريح فى الجوّ فنظر سليمان الي مملكته وطاعة الانس والجن وانقيادهم لعظيم هيبته وسياسته فاضطرب السرير وهمّ بالانقلاب فقال سليمان للسرير استقم فنطق السرير وقال استقم أنت حتي نستقيم نحن كما قال عز من قائل (انّ الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال أبو عبيدة فى أمثاله (من سلك منهج الجد أمن العثار) ويجب أن يكون الوزير عالماً عاقلاً شيخاً لان الشاب وان كان عاقلاً لا يكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلمه الناس من تجارب الايام لايتعلم الا من المشايخ والوزير زين السلطنة والزين يجب أن يكون صالحا طاهراً من الشين ويحتاج الوزير الى خمسة أشياء لتحمد خبرته . وتحسن سيرته . التيقظ لينظر في كل أمر يدخل فيه له وجه المخرج منه .والعلم حتي تتضح له الامور الحقيقية . والشجاعة حتى لا يخاف من شيء فى غير موضع الخوف.والصدق لئلا يعمل مع أحد غير الصحيح.وكتمان سر السلطان الى أن يدركه الموت

قال أزدشير بن بابك يجب ان يكون الوزير ساكنا متمهلا شجاعا واسع الصدر حسن المقال مليح الوجه مستحييا صامتا حيث يحسن الصمت ومتكلما اذا حسن الكلام ومع ذلك يجب ان يكون تقيا حسن المذهب ليطهر نفسه وينفى عنها كل مالا يليق ولا بد من حسن الاعتقاد . وينبغي ان يكون ذا تجارب ليسهل الامور على الملك متيقظا لينظر عواقب الامور. ويخاف عليه من تصاريف الدهور. ويتحفظ ان يصيبه عيب الزمان وكل ملك كان وزيره

له محبا وعليه مشفقا كان ذلك الوزير كثير الاعداء وكان أعداؤه اكثر من أصدقائه . ولا يجوز للسلطان ان يسمع فى وزيره كلام المحرضين عليه . الساعين به اليه . ليحسده اصدقاؤه . وتنكبت أعداؤه . ويجب ان يكون الوزير محمود الطريقة حتي اذا رأى فى الملك خلة مذمومة غير رشيدة . رده الي العادة المستقيمة الحميدة . من غير غلظة شديدة . لان الملك اذا كان على مالا يريده وسمع مايكرهه منه من التقريع عمل شرا من ذلك * والدليل على ذلك ان الباري تعالى لما أرسل موسى الي فرعون بأمره قال عز من قائل (فقولا له قولا لينا) واذا كان الحق سبحانه وتعالى أمر نبيه عليه السلام ان يقول لعدوه قولا لينا فالناس أجدر ان يلينوا أقوالهم . وان كان السلطان يخشن كلامه فلا يجوز للوزير ان يحقد عليه ويصبر على كلامه فى قلبه فان قدرة الملك تطلق لسانه فينطق بما يريد . واذا كان الوزير محبا للملك صحيح المقال . حسن الفعال كان له عونا على ذلك وأمره بالملازمة لذلك . ولا يجوز ان يعدد حسناته على الملك ولا يمتن بها عليه . قال أهل الفطنة اذا أحسنت الي أحد وعددت حسناتك عليه كان شرا من الامتنان تقريعك عليه * وينبغي ان يعلم الوزير وسائر خاصة الملك انهم مهما فعلوه من حسن فان ذلك باقبال الملك وببركة ظله انفعل فالمنة حينئذ تصلح ان تكون له على الناس . وأعظم فساد ينشأ فى دولة الملك يكون من أمرين . أحدهما من الوزير الخائن . والثانى من نية الملك الرديئة الفاسدة

قال أنوشروان شر الوزراء من جرأ السلطان على الحرب وجرأه على القتال في موضع يمكن أن ينصلح الحال بغير حرب لان الحرب فى سائر الاحوال تفنى ذخائر الاموال . وفيها تبذل كرائم النفوس ومصونات الارواح . وقال أيضا كل ملك كان وزيره جاهلا فمثله كمثل الغيم الذي يبدو ويظهر . ولا يندي

ولا يعطو (حكمة) فى كتاب وصايا أرسطاليس كل أمر ينقضي على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة فهو خير مما تقضيه بيدك

وترتيب الوزراء انهم متي أمكنهم أن يحاربوا بالكتب فليحاربوا وان لم تتأت الامور بالاحتيال والتدبير فليحتالوا في تأتيها بعطاء الاموال . وبذل الصلات والنوال . ومتي انهزم عسكر عفوا عن جنود الجند ولا يستعجلوا بقتلهم لانه قد يمكن قتل الاحياء ولا يمكن أحياء القتلى فان الرجل يصير رجلا فى أربعين سنة ومن مائة رجل يكون رجل يصلح لخدمة الملوك وان أسر أحد من الجند من أصحاب الملك كان على الوزير أن يفكه ويفديه ويخاصه ويشتريه ليسمع الجند بصنيعه فتقوي قلوبهم اذا باشروا حروبهم * وعلى الوزير أن يحفظ ارزاق الجند كل انسان على قدره وان يدرب الرجال الشجعان بآلات الحرب . وان يخاطبهم بأحسن كلام ويلين لهم في الخطاب . ويلطف بهم في الجواب . فان الجند قد قتلوا كثيرا من الوزراء فى قديم الايام . وسالف الاعوام . ومن سعادة السلطان ويمن طالعه وتوحده أن يسهل الله له وزيرا صالحا . ومشيرا ناصحا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بأمير خيرا قيض له وزيرا نصيحا . صادقا صبيحا . ان نسي ذكره وان استعان به أعانه

قال مؤلف الكتاب ان الله سبحانه وتعالي يظهر قدرته في كل حين وزمان . ووقت وأوان . ويصطفي جماعة يختارهم من عباده مثل السلاطين والوزراء واكابر العلماء ليعمر بهم الدنيا

ومن عجائب الزمان حديث البرامكة الذين لم يوجد لهم فى الدنيا نظير في الكرم والعطاء . وبذل المعروف والسخاء . وكان تحت حكمهم اكثر

الولايات الوافرة المرتفعات وبعد انقراضهم فسدت أحوال الوزراء ولم يبق لخدمة الملوك رونق ولا نضارة الي أن أوجد الله تعالي بركات آل سلجوق وظال دولتهم الي النظام وأوصلهم الى درجة الوزراء المتقدمين وأرفع بحيث انه لم يبق أحد في الدنيا من أهل الفضل والادباء . وأبناء السبيل الغرباء . . من شريف ووضيع الا وهو مشمول باحسانهم . مغمور بامتنانهم . ولم يكن أحد من خيرهم محروما وانما ذكرنا هذا ليعلم من يقرأ كتابنا هذا الفرق بين الصالح وغير الصالح

(حكمة) قال بزر جمهر لاتقاس الاشياء بعضها ببعض لان جوهر الناس أجل من كل جوهر وانما زينة الدنيا جميعها بالناس . والباري تعالي لا ينسب الى الخطا وهو واهب الصلاح لمن يشاء وانه يؤتى كل أحد مايصلح له ويليق به فينبغي أن يكون وزراء الملوك ومدبرو دولتهم على هذه الصفة وان يحفظوا رسوم المتقدمين وطرائقهم وان يلتمسوا الاموال التى تؤخذمن الرعية فى أوقاتها وأحيانها . وعند وجوبها واتيانها . وليعرفوا الرسم ويحملوا الرعية بحسب طاقتها وقدر قدرتها . وان يكونوا فى تصيدهم كصائد الكركى لاقاتل العصفور . ولا يجوز ان يحرصوا على تناول أموال المواريث مادام الوارث موجودا فالطمع في ذلك مشؤم غير جائز ويجب عليهم استمالةقلوب الرعية والحشم . بهبات الفوائد والنعم . ليعلموا ان كفايتهم وسمو مرتبتهم وصلاحهم . منوط بصلاح الرعية ليحسن ذكرهم فى الدنيا وينالوا جزيل الثواب في العقبي

﴿ الباب الثالث فى ذكر الكتاب وآدابهم ﴾

قالت العلماء ليس شيء أفضل من القلم لانه به يمكن اعادة السالف

والماضى . ومن فضل القلم وشرفه ان الله تعالي اقسم به فقال عز من قائل (ن والقلم وما يسطرون) وقال تعالى (اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ماخلق الله تعالي القلم لجري بما هو كائن الى يوم القيامة الحديث قال عبد الله بن عباس في تفسير هذه الآية حكاية عن يوسف عليه السلام (اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم) قال معناه كاتب حاسب. وقال ان القلم صائغ الكلام

(حكمة) قال ابن المعتز القلم معدن والعقل جوهر والقلم صائغ والخط صناعة * قال جالينوس القلم طبيب الكلام * قال بليناس القلم طلسم كبير * قال اسكندر الدنيا تحت شيئين السيف والقلم والسيف تحت القلم والقلم أدب المتعلمين وبضاعتهم وبه يعرف رأي كل انسان من قريب وبعيد ومهما كان الرجل مجربا للزمان فانه مالم ينظر في الكتب لايكون كامل العقل لان مدة عمر الانسان معلومة ومعلوم أيضا ان في هذه المدة القريبة والعمر القصير كم يمكنه أن يدرك تجربته ومعلوم أيضا كم يمكنه أن يحفظ بقلبه . السيف والقلم حاكمان فى جميع الاشياء . ولولا السيف والقلم ماقامت الدنيا

وأما الكتاب فلا يجوز لهم أن يعرفوا اكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الاكابر * وقالت الحكماء . والملوك القدماء. ينبغي أن يكون الكاتب عالما بعشرة أشياء. الاول بعد الماء وقربه تحت الارض. ومعرفة استخراج الافتاء . ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما في الصيف والشتاء وسير الشمس والقمر والنجوم . ومعرفة الاجتماع والاستقبال. والحساب بالاصابع . وحساب الهندسة والتقويم واختيارات الايام وما يصلح للمزارعين ومعرفة الطب والادوية . ومعرفة ريح الجنوب والشمال . وعلم الشعر

والقوافي ومع هذا كله ينبغي أن يكون الكاتب خفيف الروح طيب اللقاء عالما ببراية القلم وتدبيره وقطه ورفعه وخطه ومهما كان في قلبه أظهره بسنان قلمه وان يحرس نفسه من طغيان قلمه وينبغي أن يعلم أى حرف يجوز أن يبدو أي حرف ينبغي أن يكون مجتمعا متصلا. وأن يكون الخط مبينا ويعطي كل حرف حقه كما يحكى انه كان لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل فكتب الى عمرو ابن العاص كتابا ولم يظهر سين بسم الله الرحمن الرحيم فاستدعاه عمرو وقال له اظهر أولا سين بسم الله ثم توجه بعد ذلك الى عملك . وأول ماينبغي للكاتب أن يعلم براية القلم فان الانسان اذا كان يحسن الخط ويعرف أن يبرى قلمه فان الخط على كل حال يجيء صالحا

(حكاية) كان لشاهنشاه عشرة من الوزراء وكان فى جملتهم الصاحب اسماعيل بن عباد فاجتمع الوزراء على تنكيسه واتفقوا على التضريب عليه وقالوا ان الصاحب لا يقدر أن يبري قلمه فلما علم بذلك شاهنشاه جمعهم جملتهم فقال لهم الصاحب أى أدب فيكم ليس لي مثله حتى تتجاسروا أن تحدثوا عنى بحضرة شاهنشاه وان أبى علمنى الوزارة ولم يعلمني التجارة أفقل أدبي براية القلم وهل فيكم من يقدر أن يكتب كتابا تاما بقلم مكسور الرأس فعجز الجماعة عن ذلك فقال له شاهنشاه اكتب أنت فأخذ الصاحب قلما وكسر رأسه وكتب به درجاً تاما فأقر الجماعة بفضله . واعترفوا بسداده ونبله . وأجود الاقلام ما كان مستقيما أصفر اللون رقيق الوسط . والقلم المحرف من جانبه الايمن يصلح للخط العربي والفارسي والعبرى واللسان الدرى يجب أن يكون قلمه محرفاً من الجانب الايسر . وخير الاقلام ما وصفه يحيى بن جعفر البرمكى فى كتاب كتبه الي يحيي بن ليث قلم لا غليظ ولا رقيق وسطه دقيق . يجب

أن تكون السكين التى يبري بها الاقلام فى غاية الحدّة وأن تكون براية القلم على شكل منقار الكركي محرّفاً من الجانب الايمن . وينبغي أن يكون المقط الذي يقط عليه فى غاية الصلابة . ويجب أن تكون الانقاش فارسية خفيفة الوزن والكاغد صقيلا متساويا وأن يجاد حل الانقاش وكل حرف من ثلاثة أحرف يجب أن يمد وما كان أقل لا يجوزمده لانه يتوحش بذلك الخط وأن تكون صور الحروف يشبه بعضها بعضاً ولا يقدر على ذلك الا حكيم عاقل أو من تعودت بذلك أنامله

وكان عبد الله بن رافع كاتباً لامير المؤمنين على بن أبي طالب كرّم الله وجهه فقال كنت أكتب يوما فقال لي أمير المؤمنين ألق دواتك وأطل جلفة قلمك ووسع ما بين السطور واجمع ما بين الحروف وكان عبد الله بن جبلة كاتباً محسنا فقال لغلمانه لتكون أقلامكم بحرية فان لم تكن بحرية فلتكن صفراً وافطعوا عقد الاقلام لئلا تنعقد الامور . ولا يجوز انفاذ كتاب بغير ختم فان كرم الكتاب ختمه . وقال عبد الله بن عباس فى تفسير قوله تعالى (اني ألقى اليّ كتاب كريم) أي مختوم . وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب كتاباً الي العجم وقال انهم لا يريدون كتاباً بغير ختم نختمه بخاتمه المبارك وكان عليه ثلاثة أسطر محمد رسول الله * خبر روى صخر بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب كتاباً الي النجاشي رماه على التراب ثم أنفذه فلا جرم انه أسلم . ولما كتب كتابا الي كسرى انوشروان [1] لم يلقه على التراب لا جرم انه لم يسلم وقال صلي الله عليه وسلم تربوا كتبكم فانه أنجح لحوائجكم . وقال تربوا الكتاب فان التراب مبارك واذا كتب الكتاب فليقرأه قبل طيه فان رأي فيه خطأ

(١) قوله انوشروان كذا في النسخ ولعله ابرويز فان انوشروان لم يدرك زمن النبوة اه

تداركه وأصلحه . وينبغي أن يجتهد الكاتب أن يكون الكلام قصيراً والمعنى طويلا . وأن لا يكرر كلمة يكتبها . وأن يحترز من الالفاظ الثقيلة الغثة ليكون كاتبها محموداً . وفى باب الكتابة كلام طويل كثير ان ذكرناه طال الكتاب ونقتنع منه بهذا القدر فقد قيل خير الكلام ماقلّ ودلّ وجل ولم يمل

الباب الرابع فى سموّ همم الملوك

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتهد أن لا تكون دنيء الهمة فاني مارأيت أسقط لقدم الانسان من تداني همته وقال عمرو بن العاص المرء حيث وضع نفسه يريد ان أعز نفسه علا أمره . وان أذلها ذل وهان قدره . وتفسير معنى الهمة أن يرفع نفسه فان أنفة القلب من همم الاكابر لانهم يعرفون قدر أنفسهم فيعزونها ولا يرفع أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه . واعزاز المرء نفسه أن لا يختلط بالاراذل ولا يشرع فى عمل مالا يجوز لمثله أن يعمله ولا يقول ما يعاب به والهمة والانفة للملوك لان الله ركب فيهم هذه الخصلة فليتعلمها منهم الوزراء والندماء كما جاء فى الحكاية

(حكاية) أمر أبو الدوانيق لرجل بخمسمائة درهم فقال أحمد بن الخصيب لا يجوز للملك أن يهب ما دون الالف من الاعداد * وكان هرون الرشيد يوماً راكبا فى موكبه فسقط فرس رجل من عسكره فقال هرون ليعط خمسمائة درهم فأشار اليه يحيي بعينه وقال هذا خطأ فلما نزلوا قال الرشيد أي خطأ بدا مني حتى أشرت الي بعينك فقال لا يجوز أن يجري على لسان أحد من الملوك أقل من الالف من الاعداد فقال الرشيد فان اتفق أمر لا يجوز

أن يعطي فيه أكثر من خمسمائة درهم مثل هذا فكيف يقال فقال قل ليعطى فرسا فيدفع اليه فرس على جارى العادة والرسم وتكون قد نزهت همتك عن ذكر الحقير * ولهذا خلع المأمون ولده من ولاية عهده وذلك أن المأمون اجتاز بحجرة العباس فسمعه يقول لغلامه ياغلام قد رأيت بباب الرصافة بقلا حسنا نخذ نصف درهم وصل الي باب الرصافة وائتنى بشيء منه فناداه المأمون من الآن علمت ان للدرهم نصفا اذهب فأنت لا تصلح لولاية العهد وتدبير المملكة ولا يأتي منك صلاح ولا فلاح

(حكمة) فى وصية نامه أزدشير لولده اذا أردت أن تهب لاحد من ولدك شيأ فاجتهد أن لا يكون عطاؤك أقل من دخل ولاية أو قرية أو قيمة بلد أو رستاق يستغني به الشخص الذى تهبه وتزول حاجته ويستغني اعقابه به وأولاده ماعاشوا فيحصل بذلك في حساب الاحياء لا فى حساب الاموات واجتهد انك لا ترغب فى التجارة بوجه من الوجوه فان ذلك يدل على دناءة همة الملك

(حكمة) يقال انه كان للملك هرمز بن سابور وزير فكتب اليه كتابا يذكر فيه انه وصل من جانب البحر تجار معهم اللؤلؤ والياقوت والجواهر النفيسة القيمة واني ابتعت منهم برسم الخزانة بمبلغ الف دينار والآن قد حضر فلان التاجر وهو يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب مولانا فليرسم بما يرى فكتب هرمز جوابه وقال مائة ألف ومائة ألف مثلها وأمثالها ليس لها في أعيننا خطر ولا نرغب فيها بوجه من الوجوه واذا عملنا بحق التجارة فمن يعمل بحق الامارة والسلطنة فانظر أيها الجاهل لنفسك ولا تعد لمثل هذا الكلام ولا تخلط فى أموالنا درهما واحدا ولا دانقا فردا

من أرباح التجارة فان ذلك يسقط قيمة الملك ويزرى بحسن اسمه · ويعود بقبح قاعدته ورسمه. ويضر بصيته فى حال حياته وبعد وفاته

(حكاية)حكى أن الامير عمارة بن حمزة كان في بعض الايام جالسافى مجلس الخليفة المنصور وكان يوم نظره في المظالم فنهض رجل على قدميه وقال أنا مظلوم فقال من ظلمك فقال عمارة بن حمزة اغتصب ضياعى وابتز ملكى وعقاري فأمره المنصور أن يقوم من مقامه ويساوى خصمه للمحاكمة فقال عمارة ياأمير المؤمنين ان كانت الضياع له فما أنازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ومالى حاجة فى محاكمته وما أبيع مكاني الذى اكرمنى به أمير المؤمنين بضياع ولا غيرها فتعجب الاكابر الحاضرون من علوهمته . وشرف نفسه ومروءته . الهمة والنهمة على شكل واحد وكل انسان له منهما نصيب فواحد بالسخاء واطعام الطعام وآخر بالعلم وآخر بالعبادة والقناعة والزهادة. وترك طلب الدنيا . وطلب العقبي وآخر بطلب الزيادة . وأما الهمة بالسخاء وبذل المال . واسداء النوال فينبغي أن تكون كما جاء في الحكايه

(حكاية) يقال ان يحيي بن خالد خرج يوما من دار الخلافة راكبا الي داره فرأي على باب الدار رجلا فلما قرب نهض قائما وسلم عليه وقال ياأبا جعفر أنا محتاج الى مافي يدك وقد جعلت الله وسيلتى اليك فأمر يحيي ان يفرد له موضع فى داره وان يحمل اليه فى كل يوم ألف درهم وأن يكون طعامه من طعامه المختص به فبقى على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلاثون ألف درهم فأخذ الرجل الدراهم وانصرف فقيل ليحيي فى ذلك فقال والله لو أقام مدة عمره . وطول دهره . مامنعته صلتى ولا قطعت عنه ضيافتى

(حكاية) كان لجعفر بن موسى الهادي جارية عوادة تعرف ببدر الكبرى ولم يكن فى زمانها أحسن وجها منها ولا أحذق بصناعة الغناء وضرب الاوتار منها وكانت فى غاية الكمال . ونهاية الجمال . فسمع بخبرها محمد بن زبيدة الامين فالتمس منه أن يبيعها له فقال له جعفر انه لا يجيء من مثلى بيع الجوارى . ولا المساومة فى السراري . ولولا انها مزينة داري . لأنفذتها اليك . ولم أبخل بها عليك . ثم بعد ذلك بأيام جاء محمد بن زبيدة الى داره فرتب مجلس الشراب وأمر بدرا أن تغنى له وتطربه فأخذ محمد فى الشراب والطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتي اسكره وأخذ الجارية معه الى داره ولم يمد اليها يده من شرف نفسه وهمته ثم رسم من الغد باستدعاء جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وأمر الجارية ان تغنى من وراء الستر فسمع جعفر غناءها فلم ينطق من شرف نفسه ولم يظهر تغيراً فى محاضرته ثم أمر محمد الامين ان يملأ ذلك الزورق الذي ركب فيه جعفر اليه دراهم فكانت الفي الف بدرة وجملتها عشرون الف الف درهم حتي استغاث الملاحون وقالوا ما بقى الزورق يحمل شيأ آخر وأمر بحمله الى دار جعفر والجارية أيضاً هكذا كانت همم الاكابر * وسئل بعض الحكماء من اعلا الناس حالا فقال اعلاهم همة واكثرهم علما . وأغزرهم فهما واصفاهم حالا فقيل له فبمن ينبغي أن يتوصل ليخلص من نحوسة حظه وضائقته فقال بالملوك والاكابر وذوي الهمم العالية . والنفوس الشريفة السامية . كما قيل جاور بحرا أو ملكا

(حكاية) قال سعد بن سالم الباهلى اشتدت بي الحال في زمن الرشيد واجتمع على ديون يعجزنى بعض قضائها . وعسر على اداؤها . واحتشد ببابى أرباب الديون . وتزاحم الطالبون . ولا زمني الغرماء فضاقت حيلتي . وازدادت

فكرتى فقصدت عبد الله بن مالك الخزاعى والتمست منه أن يمدنى برأيه وان يرشدنى الي باب الفرج فقال عبدالله لا يقدر أحد على خلاصك من محنتك وهمك . وضائقتك وغمك . الا البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال تكبرهم . والصبر على تيههم وتجبرهم . فقال تصبر على ذلك لمصلحة أحوالك فنهضت الى الفضل وجعفرابني يحيي بن خالد فقصصت عليهما قصتى وأبديت لهما غصتى . فقالا اعانك الله وأقام لك الكفاية فعدت الي عبد الله ابن مالك ضيق الصدر . منقسم الفكر . منكسر القلب وأعدت عليه ماقالاه فقال يجب ان تكون عندنا اليوم لننظر ما يقدره الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلامى قد أقبل فقال ببابنا بغال كثيرة باحمالها ومعها رجل يقول أنا وكيل الفضل وجعفر فقال عبد الله أرجو ان يكون قد جاء الفرج فقم وانظر ما الشأن فنهضت وأسرعت عدوا فرأيت ببابى رجلا معه رقعة مكتوب فيها . انك لما عدت من عندنا مضيت الى الخليفة وعرفته ما قد أفضت بك الحال اليه فامر أن أحمل اليك من بيت المال الف الف درهم فقلت له هذه الدراهم يصرفها الي غرمائه فمن أين يقيم وجوه نفقاته فامر بثمانمائة الف درهم أخرى وقد حملت أنا من خاصتي الف الف درهم فصارت الجملة التى الف درهم وثمانمائة الف درهم أصلح بها أحوالك

(حكاية) يقال انه كان لانوشروان نديم وكان فى مجلس الشراب جام من ذهب مرصع باللؤلؤ والجواهر النفيسة فسرقه النديم ونظر اليه أنوشروان فرآه وهو يخفيه فجاء الشرابى وطلب الجام فلم يجده فنادي يا أهل المجلس قد ضاع لنا جام مرصع بالجواهر فلا يخرجن أحد حتى يرد الجام فقال أنوشروان مكنهم من الخروج فان الذي سرق الجام لا يرده والذي رآه لا يقر عليه .

فاين كان السخاء وعلو الهمة كانت الراحة والخير ولكن من ينكر الاحسان. ويجحد الامتنان لاأصل له ومن لا أصل له لا يقدر ان يستر فكره

(حكاية) يقال ان الرشيد استدعي صالحا فى التاريخ الذي تغير فيه على البرامكة وقال يا صالح صر الي منصور بن زياد وقل له لنا عليك عشرة آلاف الف درهم نريد أن تحصلها فى هذه الساعة وان لم يحصلها الي المغرب نخذ رأسه عن جسده واتني به واياك ومراجعتى في شيء من أمره قال صالح فصرت الى منصور وعرفته ماذكره الرشيد من سياسته فقال له هلكت وحلف ان جميع أسبابه وأملاكه لا يقوم بمائة الف درهم فمن أين يقوم بتحصيل عشرة آلاف الف درهم قال صالح فقلت له دبر حيلة فى أمرك فانى لا أقدر أن أمهل ولا أحابى فيما أمر به أمير المؤمنين فقال احملني الى بيتي أودع أولادى وأهلي وصبيتي وأوصي أقاربى فجعل منصور يودع أهل بيته وارتفع في منزله البكاء والاستغاثة والصراخ *قال صالح فقلت له ربما يكون لك فرج على أيدي البرامكة فامض بنا اليهم فاخذ يبكي ويصرخ حتي أتينا يحيي بن خالد فقصصت عليه القصة وشرحت عليه ماناله فاغتم لذلك وأطرق الي الارض ساكتا زمانا ثم رفع رأسه ثم استدعي خازنه وقال له كم فى خزانتنا من الدراهم فقال مقدار ألف ألف درهم فأمر باحضارها وأنفذ قاصدا الي الفضل ولده فقال للرسول قل له انه عرض بيع ضياع جليلة فانفذ ماعندك من الدراهم فانفذ ألفى ألف درهم وأنفذ بآخر الي جعفر وقال للرسول قل له اتفق لنا شغل ونحتاج فيه الي شيء من الدراهم فانفذ جعفر ألفى ألف درهم فقال منصور يامولاي قد تمسكت بك وما أعرف خلاصى الا منك واتمام بقية ديني فاطرق يحيي الى

الارض وبكى وقال ياغلام ان أمير المؤمنين هارون الرشيد كان وهب جاريتنا العوادة دنانير جوهرة عظيمة القيمة فامض اليها وقل لها تنفذ تلك الجوهرة فمضى الغلام وأتى بها اليه فقال يحيي ياصالح أنا ابتعت هذه لامير المؤمنين من التجار بمائتى ألف درهم ووهبها أمير المؤمنين لدنانير العوادة واذا رآها عرفها وقد تم الآن مال مصادرة منصور ياصالح قل لامير المؤمنين ليهب لنا منصورا * قال صالح فحملت المال والجوهرة الي الخليفة فبينما نحن فى الطريق أنا ومنصور اذ سمعته يتمثل ببيت من الشعر فتعجبت من رداءته وفساده . وخبث أصله وميلاده .وهو هذا البيت

فما استوهبتنى متمسكا بي * ولكن خفت من ألم النبال

قال صالح فرددت عليه وقلت ماعلى وجه الارض خير من البرامكة ولاشر منك اشتروك وانقذوك من الهلاك . ومنوا عليك بالفكاك ولم تشكرهم وتحمدهم ولم تفعل فعل الاحرار وقلت ماقلت ثم مضيت الي الرشيد وقصصت عليه القصة وعرفته ماجرى وكتمت عنه ماجري من منصور من خبث الطوية مخافة على نفسه من الرشيد فعند ذلك تعجب وأمر برد تلك الجوهرة وقال شيء وهبناه لايجوز ان نعود فيه فأعدتها الى يحيي وقصصت عليه القصة وما جرى من منصور من سوء فعله .قال يحيي اذا كان الانسان مقلا ضيق الصدر مشغول الفكر بضائقة اليد فمها قاله ويقوله فليس ذلك من قلبه وجعل يطلب العذر لمنصور . قال صالح فبكيت وقلت لايعود الفلك الدائر يخرج رجلا مثلك فى الوجود . فوا أسفا كيف يتوارى رجل مثلك له خلق مثل أخلاقك تحت التراب

(حكاية) يقال انه كان بين يحيي بن خالد البرمكى وبين عبد الله بن

مالك الخزاعى عداوة في السر ما كانا يظهرانها وكان سبب تلك العداوة التى بينهما ان هارون الرشيد كان يحب عبد الله بن مالك الى أبعد غاية بحيث ان يحيي بن خالد وأولاده كانوا يقولون ان عبد الله يسحر أمير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان والحقد فى صدورهما وقلوبهما فولي الرشيد ولاية أرمينية لعبدالله وسيره اليها . ثم ان رجلا من أهل العراق كان له ادب وذكاء وفطنة فضاق ما بيده وفني ماله . واختل عليه حاله . فزور كتابا عن يحيي بن خالد الي عبدالله بن مالك وسافر به الي أرمينية فحين وصل اليها قصد باب عبدالله وسلم الكتاب الي بعض حجابه فأخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله بن مالك ففضه وقرأه وتدبره وعلم انه مزور فأذن للرجل فدخل عليه فقال له حملت بعض المشقة وجئتني بكتاب مزور ولكن طب نفساً فانا لا نخيب سعيك فقال الرجل أطال الله بقاء الامير ان كان قد ثقل عليك وصولي اليك فلا تحتج فى منعي لحجة فأرض الله واسعة والرازق حي متين والكتاب الذى وصل صحيح غير مزور . فقال عبد الله أنا أعتمد معك أمرين وهما أن أكتب الي وكيلي ببغداد وآمره أن يسأل عن حال هذا الكتاب الذي أتيت به فان كان صحيحاً أعطيتك امارة بعض بلادي وان آثرت العطاء أعطيتك مائة ألف درهم مع الفرس والجنيب والحلة والتشريف . وان كان الكتاب مزوراً أمرت أن تضرب مائتى خشبة وأن تحلق محاسنك . ثم أمر عبد الله أن يحمل الى حجرة الحبس وان يحمل اليه ما يحتاج اليه وكتب كتابا الى وكيله ببغداد انه قد وصل الينا رجل معه كتاب يذكر انه من يحيي بن خالد وأنا سيء الظن فى هذا الكتاب فيجب أن تحقق الحال فى هذا الكتاب لتعلم صحته من سقمه وعرفنى الجواب فلما وصل كتاب عبدالله الى وكيله ركب ومضى الى باب دار يحيي بن خالد فوجده

مع ندمائه وخواصه جالساً فسلم الكتاب اليه فقرأه يحيي بن خالد ثم قال للوكيل عد الينا من الغد لا كتب لك الجواب ثم التفت الي ندمائه وقال لهم ماجزاء من حمل عني كتابا مزوراً الى عدوى فقال كل واحد منهم شيأ يصف نوعاً من العذاب . ويذكر جنساً من العقاب . فقال يحيي كلكم أخطأتم وهذا الذي ذكرتم من خسة الاصل ودناءته وكلكم تعرفون قرب عبد الله من أمير المؤمنين وتعرفون ما بيني وبينه من البغض والآن قد سبب الله هذا الرجل وجعله متوسطاً فى الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليمحو حقد عشرين سنة من قلوبنا . وتنصلح بواسطته شؤننا وقد وجب على أن أفي لهذا الرجل بتأميله وأصدق ظنونه واكتب له كتابا الي عبد الله ليتوفر على اكرامه . واعزازه واحترامه وسمو همته . ثم انه طلب الكاغد والدواة وكتب الي عبد الله بخط يده . بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتابك أطال الله بقاءك وقرأته وفهمته وسررت بسلامتك . وابتهجت باستقامتك . وكان ظنك ان ذلك الحر زورعني كتابا . ولفق عنى خطابا . وليس كذلك . فان الكتاب أنا الذي كتبته وعلى يديه أنفذته . وليس بمزور عني . وتوقعي من كرمك . وحسن شيمك أن تفي لذلك الحر الكريم بأمله . وتعرف له حرمة قصده . وأن تخصه منك بغامر الاحسان . ووافر الامتنان . فمها فعلته فى حقه فأنا المعتد به والشاكر عليه . ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى الوكيل فأنفذه الوكيل الي عبدالله فحين قرأه ابتهج بما حواه وأحضر الرجل وقال أى الامرين اللذين ذكرتهما تختار أن أفعل معك فقال الرجل العطاء أحب الي فأمر له بمائتي ألف درهم وعشرة أفراس عربية منها خمسة بالمراكب المحلاة وخمسة بالجلال وعشرين تختاً من الثياب وعشرة مماليك ركاب الخيول وما يليق بذلك من الجواهر المثمنة

وسيره صحبة مأمونه الي بغداد فلما وصل الي أهله قصد باب دار يحيي بن خالد وطلب الاذن فدخل الحاجب وقال يامولانا ببابنا رجل ظاهر الحشمة جميل الهيئة حسن الجمال كثير الغلمان . فأذن له فى الدخول فدخل اليه . وقبل الارض بين يديه . فقال له يحيي ما أعرفك فقال أنا الرجل الذي كنت ميتاً من جور الزمان . وغدر الحدثان . فنشرتنى وأحييتني . أنا الذى حملت الكتاب المزور عنك الي عبد الله بن مالك فقال يحيي وما الذي فعل معك . وأى شيء أعطاك ووهب لك . فقال من بركاتك وظلك . وكرمك وهمتك وفضلك أعطاني . ونولنى وأغنانى . وقد حملت جميع عطيته وها هي ببابك والامر اليك . والحكم فى يديك . فقال له يحيي صنيعك معى اكثر من صنيعي معك ولك على المنة العظيمة . واليد الجسيمة . اذ بدلت تلك العداوة التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة وانت كنت فى ذلك السبب وأنا أهب لك من المال مثل ماوهب لك . ثم أمر له من المال بمثل ماأعطاه عبد الله ابن مالك *وانما أوردنا هذه الحكاية ليعلم من يقرؤها ان الانسان اذا كانت همته عالية لايضيع أبدا كما لم يضع ذلك الرجل ولو كان خسيس الطبع لالتجأ الى عمل دنيء وتعلق بلئام الناس ولكنه لما كانت له همة سامية تهوروأ قدم. وخاطر مع رجل محتشم . كريم الاخلاق . طاهر الأعراق . فوصل بذلك التهور الى مراده . انظر الي الرجلين الكريمين المحتشمين الزعيمين السيدين . والي سموهمتهما بماذا عاملاه . وبماذا قابلاه . ولم يريا في مروءتهما عقوبته وعذابه ونال من بركتهما طلابه وتخلص من شدة زمانه وضائقته . وأفلت من شر محنته . وعاد ذا نعمة سنية . ورتبة علية وحصلا بجميل الذكر وجزيل الاجر

(حكاية) يقال انه تفاخر عبدان عبد لبنى هاشم وعبد لبنى أمية فكل

واحد منهما قال مواليّ اكرم من مواليك فقالا نمضي ونجرب فمضى مولي بني أمية الي واحد من مواليه وشكا حالته وضائقته وتألم من فاقته فاعطاه عشرة آلاف درهم حتى طاف على عشرة من مواليه فاجتمع له مائة ألف درهم فأخذها وأحضرها بين يدى مولى بنى هاشم وقال امض أنت الي بني هاشم وجربهم وانظر كرمهم فأتي مولى بني هاشم الى الحسين بن على رضى الله عنهما وشكا حاله وذكر فقره وما أفضى به الحال اليه فأمر له بمائة ألف درهم ثم مضى الي عبد الله بن جعفر وشكا اليه فاعطاه مائة ألف درهم ثم مضي الى عبد الله بن ربيعة فأعطاه مائة ألف درهم فمضي بالمال الى مولى بنى أمية وقال له ان مواليك تعلموا الكرم من مواليّ . ولكن عد بنا اليهم لنجربهم ثانيا ونعيد المال اليهم فمضي مولي بني أمية الي مواليه وقال لهم قد استغنيت عن هذا المال وقدسهل الله تعالي من مكان فتوحاسدّبه فقرى ولم يبق لي في هذه الدراهم حاجة وقد أعدتها فأخذ كل واحد منهم دراهمه . وحمل مولي بني هاشم الدراهم الي مواليه وقال لهم قد تيسر لي من مكان مازالت به حاجتي وانقضت وقد أعدت المال الذى أخذت منكم فاستعيدوه فقالوا نحن لا نأخذ شيأ قد وهبناه ولا تعود هباتنا تختلط بأموالنا

(حكمة) قال بعض الحكماء اجلال الاكابر من الكرم وحسن الخلال . واحتقار الناس من لؤم الاصل وقبح الخلال . والهمة بغير آلة خفة وانما الهمة مع الجد تجمل وتلطف . وتحسن وتظرف . لان الرجل اذا كان ذا همة وجده غير مساعد لم يكن له من همته سوى الانحطاط لانه يجب أن تكون الهمة علوية والجد عاليا * وقد قيل أيضا الكلام بالدرجة

والعمل بالقدرة . وينبغي أن تكون الهمة الى بغداد والزاد الي فرسخين وكذا الجلال

(حكاية) كان عبد العزيز بن مروان أميرا بمصر فركب ذات يوم واجتاز بموضع واذا برجل ينادى ولده ياعبد العزيز فسمع الامير نداءه فأمر له بعشرة آلاف درهم لينفقها على ذلك الولد الذي هو سميه ففشا الخبر بمدينة مصر فكل من ولد له فى تلك السنة ولد سماه عبد العزيز . وبعد ذلك كان الحاجب تاش الامير الكبير بخراسان فانه اجتاز يوما بصيارف بخاري ورجل ينادي غلامه وكان اسم الغلام تاش فأمر بازالة الصيارف ومصادرتهم وقال انما أردتم الاستخفاف باسمي فانظر الآن بين الحر القرشي وبين المتشرف بالدراهم. وفى هذا الباب كلام طويل ونكتفى بهذا لئلا يطول الكتاب . وينبغي ان تعلم ان الهمة وأن تأخرت فانها توصل صاحبها الى مراده يوما من الزمان كما قال الشاعر

سعي لمجد ولولا صدق معرفتي * اني سأدرك ما قد كنت أطلبه
لو كنت في خدمة السلطان ذا طلب * لازداد ما كنت من حاميه أخطبه

وانما المحمود في الرجال أن لا يتجاوز بهمته . فوق قدره وقدرته * لئلا يعيش مغتما طول زمانه ومدته. كما قال الشاعر

لو كنت تقنع بالكفاية لم يكن * بالدهر أرفه منك عيشا فيه
أو كنت يوما فوق ذلك طامعاً * لم تكفك الدنيا بما تحويه
ماذا يفيد علوّ همتك الذي * لا يستجيب لنيل ما تبغيه

﴿ الباب الخامس فى ذكر حلم الحكماء ﴾

أما الحكمة فانها عطاء من الله جلت قدرته يؤتيها من يشاء من

عباده . قال سقراط مثل من أعطاه الله الحكمة وهو يعرف قدرها وهو بحرصه يعمل للدنيا وللمال الكثير كمثل من يكون فى صحة وسلامة فيبيعهما بالتعب والنصب فان ثمرة الحكمة الراحة والعلاء . وثمرة المال التعب والبلاء . قال ابن المقفع كان لملوك الهند كتب كثيرة بحيث كانت تحمل على الفيلة فامروا حكماءهم ان يختصروها فاتفق العلماء فى اختصارها فاختصروها على أربعة كلمات احداها للملوك وهي العدل . والثانية للرعية وهى الطاعة . والثالثة للنفس وهى الامساك عن الطعام الى وقت الجوع . والرابعة للانسان وهي ان لا ينظر الى غير نفسه

(حكمة) قال بعض الحكماء الناس أربعة . رجل يدري ويدرى انه يدري فذلك عالم فاتبعوه . ورجل يدرى ولا يدري انه يدري وذلك ناس فذكروه . ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه . ورجل لا يدري ولا يدري انه لايدري فذلك جاهل فاحذروه (حكمة) سئل بعض الحكماء أي شيء أقرب فقال الاجل فقيل أى شيء أبعد قال الامل

(حكمة) قال لقمان الحكيم لولده شيأن اذا حفظتهما لا تبالى بما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك . ودينك لمعادك

(حكمة) سأل انوشروان بزرجمهر لاي شيء يمكن ان يجعل العدو صديقا فقال لان تخريب العامر أسهل من عمارة الخراب وكسر الزجاج اذا كان صحيحا أسهل من تصحيحه اذا كان مكسوراً . وقال صحة الجسم خير من شرب الادوية . وترك الذنب خير من الاستغفار . وكظم الشهوات خير من كظم الحزن . ومخالفة الهوى فى الاستكبار خير من دخول النار

(حكمة) كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف البلاد عدة سنين

وكان يعلم الناس هذه الكلمات الست وهي * من ليس له علم فليس له عز في الدنيا ولا في الآخرة . ومن ليس له صبر فما له سلامة في دينه . ومن كان جاهلا لم ينتفع بعمله . ومن لا تقوي له فماله عند الله كرامة . ومن لا سخاء له فماله من ماله نصيب . ومن لا طاعة له فماله عند الله حجة

(حكمة) سئل بزرجمهر أى عز يكون بالذل متصلا فقال العز في خدمة السلطان . والعز مع الحرص والعز مع السفه

(حكمة) سئل بزرجمهر بما ذا يؤدب البله فقال بان يؤمروا بكثرة الاعمال . ويستخدموا فى مشقات الاشغال. بحيث لايجعل لهم الي الفضول طريقا ولا فراغا . قيل وبماذا يؤدب الاخساء فقال باهانتهم واحتقارهم . ليعرفوا وضاعة أقدارهم . قيل فبما ذا يؤدب الاحرار قال بالتوقف في قضاء حوائجهم * وسئل أيضا من الكريم فقال الذى يهب ولا يذكر انه وهب

(حكمة) قيل لاي سبب تتلف الناس نفوسهم لاجل المال فقال لانهم يظنون ان المال خير الاشياء ولا يعلمون ان الذى يراد من أجله المال خير من المال

(حكمة) قيل له ايكون شئ أعز من الروح بحيث تعطى الناس فيه أرواحهم ولا يبالون فقال ثلاثة هي أعز من الروح الدين والعقل والخلاص من الشدائد . وسئل أيضا فى أى شيء يكون العلم والكرم والشجاعة فقال زينة العلم الصدق وزينة الكرم البشر وزينة الشجاعة العفو عند القدرة

(حكمة) قال يونان الوزير أربعة أشياء من عظيم البلاء كثرة العيال مع قلة المال والجار المسيء الجوار . والمرأة التي لا تقية لها ولا وقار

واتفق أهل الدنيا على ان اعمال الخلائق كلها خمسة وعشرون وجها . خمسة منها بالقضا والقدر وهى طلب الزوجة . والولد . والمال . والملك . والحياة. وخمسة منها بالكسب والاجتهاد وهى العلم .والكتابة. والفروسية ودخول الجنة .والنجاة من النار . وخمسة منها بالطبع وهى الوفاء .والمداراة والتواضع والسخاء . وخمسة منها بالعادة وهى المشى فى الطريق .والا كل والنوم والجماع والبول والتغوط وخمسة منها بالارث وهى الجمال . وطيب الخلق وعلو الهمة .والتكبر .والدناءة

(حكمة) ستة أشياء تساوي الدنيا الطعام السائغ .والولد السليم الاعضاء والصاحب الموافق . والامير المشفق .والكلام الصحيح النظام . والعقل التام

(حكمة) قال الحكيم خمسة أشياء ضائعة . السراج فى الشمس . والمطر في السباخ المالحة .والمرأة الحسناء عند الاعمي . والطعام الطيب يقدم بين يدي الشبعان .وكلام الله سبحانه في صدر الظالم

(حكمة) سئل الاسكندر لم تكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال ان أبي سبب حياتى الفانية ومعلمى سبب حياتى الباقية

(حكمة) قال الحكيم اذا كانت بقسمة الله تجرى الامور . فالاجتهاد محظور . وتاركه مشكور . وقال اذا لم يمش معك الزمان كما تريد . فامش مع الزمان كما يريد . فان الانسان عبد الزمان . والزمان عدو الانسان . وكل نفس تنفسه فبقدره يبعد عن الحياة ويقرب من الممات

(حكمة) سأل قوم من الحكماء بزرجمهر فقالوا عرفنا من أبواب الحكمة ماينفع أرواحنا وأشباحنا لنجتهد فيه وما يضرنا للبعد عنه فقال اعلموا وتيقنوا ان أربعة من الاشياء تزيد فى نور العين وتحد النظر . وأربعة تنقص نورها .

وأربعة تسمن الجسم وتخصبه . وأربعة تضعفه وتهزله . وأربعة أشياء تحيي القلب . وأربعة تميته . وأربعة يصح بها الجسم دائما . وأربعة تكسر البدن أما الاربعة التي تزيد في نور العين فهي الخضرة . والماء الجاري . والشراب الصافي والنظر الي وجوه الاحباب . وأما الاربعة التي تنقصه فهي أكل المالح واللحم القديد . وصب الماء على الرأس . والنظر الدائم في عين الشمس . ورؤية العدو * وأما الاربعة التي تسمن الجسم وتخصبه فهي الثوب الناعم . وخلو البال من الاحزان . والرائحة الزكية . والنوم في المكان الساخن . وأما الاربعة التي تضعفه وتهزله فأكل اللحم القديد . وكثرة الجماع . وطول المكث في الحمام . ونوم العشايا . وأما الاربعة التي يصح بها الجسم فأكل الطعام في وقته . وحفظ مقادير الاشياء . ومجانبة الاعمال الشاقة . وترك الحزن على غير موجب . وأما الاربعة التي تكسر البدن دائما فسلوك الطريق الصعب . وركوب الفرس الحرون . والمشي على التعب . ومجامعة العجائز . وأما الاربعة التي تحيي القلب فالعقل النافع . والاستاذ العالم والشريك الامين . والزوجة الموافقة . والصديق المساعد . وأما الاربعة التي تميته فبرد الزمهرير وحر السموم والدخان الكريه ومخافة العدو

وقال سقراط الحكيم خمسة أشياء يهلك الإنسان فيها نفسه . خديعة الاصدقاء . والالتفات عن العلماء . واحتقار الرجل نفسه . وتكبر من لا يسوي واتباع الهوى

(حكمة) قال بقراط خمسة أشياء لا يشبع منها خمس عين من نظر . وأنثى من ذكر . وأذن من خبر . ونار من حطب . وعالم من علم

(حكمة) سئل حكيم ما أمر الاشياء في الدنيا وما أحلاها فقال أمر

الاشياء استماع الكلام الخشن ممن لاقيمة له والدين الفادح وضائقة اليد وأحلى الاشياء الولد والكلام الطيب واليسار

(حكمة) سئل حكيم ما الموت وما النوم فقال النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل

(حكمة) سئل حكيم ما الغني فقال القناعة والرضا فقيل ما العشق فقال مرض الروح وموت فى حسرة

(حكمة) سئل ارسطاطاليس أى صديق أوثق وأي صاحب أشفق فقال الصديق الاصيل أوثق والصاحب القديم أشفق وتدبير العقلاء أفضل

(حكمة) قال جالينوس سبعة أشياء تجلب النسيان . استماع الكلام الخشن لا يتصوره القلب . والحجامة على خرزة العنق . والبول في الماء الراكد وأكل الحوامض . والنظر فى وجه الميت . والنوم الكثير . والنظر في الاماكن الخراب . وقال أيضاً في كتاب الادوية ان النسيان يحدث من سبعة أشياء وهي البلغم . وضحك القهقهة . وأكل المالح واللحم السمين وكثرة الجماع . والسهر مع التعب . وسائر البرودات والرطوبات فان أكلها يضر ويجلب النسيان

(حكمة) قال أبو القاسم الحكيم فتن الدنيا تنشأ من ثلاثة نفر من قائل الاخبار . وطالب استماع الاخبار ومتلقي الاخبار وهؤلاء الثلاثة لا يخلصون من الندامة

(حكمة) قيل ثلاثة أشياء لا تجتمع مع ثلاثة أكل الحلال مع اتباع الشهوات والشفقة مع ارتكاب الغضب وصدق المقال مع كثرة الكلام

(حكمة) قال بزرجمهر الحكيم ان شئت أن تصير من جملة الابدال . فحول أخلاقك الى أخلاق الصبيان الاطفال . فقيل كيف ذلك فقال فى

الاطفال خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا أبدالا وهى انهم لا يغتمون للرزق. واذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم تعالي. وانهم يأكلون الطعام فيجتمعون. واذا تخاصموا لم يتحاقدوا ويسارعون الي الصلح. وانهم يخوفون فيخافون بأدنى تخويف وتدمع أعينهم

(حكمة) قال وهب بن منبه فى التوراة أربع كلمات مكتوبة وهى كل عالم لم يكن متورعا فهو كاللص وكل رجل خلا عن العقل فهو والبهيمة على مثال واحد

(حكمة) قال بعض الحكماء أصل الزعامة العطف وأصل الذنب العجلة. وأصل الذل البخل

(حكمة) قال الحكيم ينبغي أن لا يكون الانسان لقلبه خادما وبقالبه متقدما وبعادته أبله أي يتجاوز عن الجيد والرديء وينبغي أن يستمع كلام الحكمة من غير حكيم فانه قد يصيب الغرض من لم يكن راميا

(حكمة) قال الاحنف بن قيس لا صديق لملول. ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود. ولا مروءة لدنيء ولا زعامة لسيىء الخلق

(حكمة) قال ذو الرياستين اشتكى رجل من خصم له الى الاسكندر فقال له الاسكندر أتحب أن أسمع كلامك فيه بشرط ان أسمع كلامه فيك فخاف الرجل وأمسك فقال الاسكندر كفوا نفسكم عن الناس لتأمنوا من أناس السوء

(حكمة) قال بزرجمهر العوافى أربعة وهى عافية الدين. وعافية المال وعافية الجسم. وعافية الاهل. فاما عافية الدين ففى ثلاثة أشياء انك لا تتابع الهوي وان تعمل بأوامر الشرع وأن لا تحسد أحدا. وعافية المال فى ثلاثة

أشياء .انعام النظر .واداء الامانة واخراج الحق من المال . وعافية الجسم في ثلاثة أشياء قلة الاكل . والاقلال من الكلام . والاقلال من النوم . وعافية الاهل في ثلاثة القناعة .وحسن العشرة . وحفظ طاعة الله تعالى

وسئل حاتم الاصم لاى شيء لا نجد ما وجده المتقدمون فقال لانكم فاتكم خمسة أشياء المعلم الناصح . والصاحب الموافق . والجهد الدائم والكسب الحلال والزمان المساعد* (خبر) جاء في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا على اقبل على بوجهك وأخل لي قلبك وسمعك . كل وغط . واجمع وهب وتشدد فقال على ما معني هذه الكلمات يا رسول الله فقال كل الغضب وغط عيب أخيك وهب ظلم الظالم واجمع لذلك القبر المظلم وتشدد في دين الاسلام

(حكمة) قال رجل لبعض الحكماء أوصني فقال لا تنظر قضاه واطلب رضاه وتجنب جفاه

(حكمة) سئل حكيم أى شيء اكثر بين الخلق فقال كثرة التدبير وليس قدرة ومع الاستكثار لا تزول الحاجة والعبد يحرص على كل شيء الا على الفقر فليس يحرص عليه أحد لان الخلق كلهم يطلبون الغنى ولا يحرص أحد على الغم لان الكل يطلبون السرور ويحرصون على الفرح ولا يحرص أحد على الموت لانهم يحرصون على الحياة

(حكمة) قال أبو القاسم الحكيم هلاك العبد فى شيئين المعصية . والانفراد بالرأى

(حكمة) قال الحكيم بلاء الخلق من ثلاثة العلماء المضلين . والقراء البله . والعوام الحسدة . وقيل لا تطلب صحبة من طامع . ولا تطلب وفاء من خسيس

الاصل . وقال الحكيم شيأن غريبان فى هذا الزمان الدين والفقر

(حكمة) قال الحكيم أربعة أحوال ان حفظتها كنت من جملة الرجال . أحدها سرك يجب ان يكون بحيث اذا علمه الناس رضيت والثانى علانيتك يجب أن تكون بحيث لو اقتدى بك الناس جاز لك . والثالث ان تعامل الناس بما لو عاملوك به اخترته لنفسك . والرابع ان تكون حالتك للناس بحيث لو كانت لك رضيت بها

(حكمة) قال الحكيم ينبغى ان تنظر ثلاثة أشياء بعين ثلاثة وهى ان تنظر الفقراء بعين التواضع لا بعين التكبر وان تنظر الاغنياء بعين النصح لا بعين الحسد . وان تنظر النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة

(حكمة) قال وهب بن منبه في التوراة مكتوب ان أم المعاصي ثلاثة التكبر والحرص والحسد وانها نتيجة خمسة أشياء الاكل والنوم وراحة الجسم وحب الدنيا ومدح الناس

وقال من خلص من ثلاثة أشياء فمأواه الجنة وهي المنة والمؤنة والملامة اذا أحسن لم يمن باحسانه . وأن يخفف مؤنته عن الناس واذا رأي فى أحد عيباً لم يلمه

(حكمة) يقال ان ابن القرية دخل على الحجاج وكان من أكابر أهل زمانه فطنة وعلما فسأله الحجاج وقال له ما الكفر قال البطر بالنعمة والاياس من الرحمة . فقال ما الرضى قال الثقة بقضاء الله والصبر على المكاره فقال ما الحلم قال اظهار الرحمة عند القدرة والرضى عند الغضب . فقال ما الصبر قال كظم الغيظ والاحتمال لما يراد . فقال ما الكرم قال حفظ الصديق وقضاء الحقوق . قال ما القناعة قال الصبر على الجوع والعري عن اللباس . قال ما الفنا

قال استعظام الصغير واستكثار القليل. فقال ما الرفق قال اصابة الاشياء الكبيرة بالآلة الصغيرة الحقيرة. فقال ما الحمية قال الوقوف على رأس من هو دونك. قال ما الشجاعة قال الحملة فى وجوه الاعداء والكفار. والثبات فى موضع الفرار. فقال ما العقل قال صدق المقال وارضاء الرجال فقال ما العدل قال ترك المراد. وصحة السيرة والاعتقاد. فقال ما الانصاف قال المساواة عند الدعاوي بين الناس. فقال ما الذل قال المرض من خلو اليد والانكسار من قلة الرزق. فقال ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجاء. فقال ما الامانة قال قضاء الواجب. فقال ما الخيانة قال التراخي مع القدرة قال فما الفهم قال التفكر وادراك الاشياء على حقائقها

(حكمة) قال الحكيم ثمانية تجلب الذل على أصحابها وهي جلوس الرجل على مائدة لم يدع اليها. ومن تأمر على صاحب البيت والطامع في الاحسان من اعدائه. والمصغي الى حديث إثنين لم يدخلاه بينهما. ومحتقر السلطان. ومن جلس فوق مرتبته ومن تكلم عند من لا يستمع ومن صادق من ليس باهل

(حكمة) سئل بزرجمهر أي شيء يقبح بالانسان ذكره وان كان صحيحا قال مدح الانسان نفسه لانك لا تجد بخيلا ممدوحا. ولا اذا غضب مسرورا. ولا عاقلا حريصا. ولا ترى كريما حاسدا. ولا قنوطا غنيا. ولا تجد للملول صديقا

(حكمة) قال الحكيم خمسة يفرحون بخمس ثم يندمون بعدها الكسلان اذا فاتته الامور. والمنقطع عن اخوانه اذا نالته شدة. ومن أمكنته فرصة على اعدائه ثم عجز عن انتهازها. ومن ابتلى بامرأة سوء وتذكر المرأة الصالحة قبلها. والرجل الصالح يندم على ارتكاب الذنوب.

(حكمة) سئل بزرجمهر هل يقلب المال قلوب العلماء من الرجال

فقال من قلب المال قلبه فليس بعالم

(حكمة) قال الحكيم العتاب الظاهر خير من الحقد الباطن

(حكمة) قال بزرجمهر أصحاب الغم والحزن في الدنيا ثلاثة . محب فارق حبيبه . ووالد شفوق ضل عنه ولده . وغني عاد فقيرا .

(حكمة) قال الحكيم خمسة يكون المال اعز من انفسهم وأرواحهم عليهم وهم المقاتل بالاجرة وحفار الآبار والقنوات . وراكب البحر للتجارة . والحواء الذي يتصيد الحيات . وآكل السم بالمراهنة

(حكمة) قال عمرو بن معدى كرب الكلام اللين يلين القلوب التى هى أقسى من الصخر . والكلام الخشن يخشن القلوب التي هى أنعم من الحرير

(حكمة) قال الحكيم الحزن مرض الروح كما أن الوجع مرض الجسد والفرح غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الجسد * وطلب حكيم من رجل ان يدينه دينارا فلم يفعل فقال الحكيم لم يكن من منعك اياي الا أن احمر وجهي من الحياء مرة واحدة ولو أعطيتنى لم يصفر وجهي من مطالبتك مرة بل ألف مرة

(حكمة) قال الحكيم من يزرع وطينه رطب لم يساو قيمته شيأ . وقال من ليس له لب ولا خطر فهو شجر بلا ثمر * وقال من سل سيف الجور قتل به . ومن لم ينصف من نفسه لم يخلص من حسرته . ومن أطلق يده بالعطاء أشرق وجهه بالضياء * وقال من لم يحترز من ذنبه فقد تعلق به * وقال الشباب رضيع الجنون . والشيب قرين التوفيق والسكون * وقال تزود طاهر الزاد . ولا تخف من الاضداد

(عظة) قال لقمان كنت أسير في طريق فرأيت رجلا عليه مسح فقلت

ما أنت أيها الرجل فقال آدمي فقلت ما اسمك فقال حتي انظر بماذا اسمي فقلت ماذا تصنع قال ترك الاذي فقلت ماذا تأكل قال الذى يطعمني ويسقيني فقلت من أين يطعمك فقال من حيث شاء فقلت طوبى لك وقرة عين فقال ماالذي يمنعك عن هذه الطوبي وقرة العين

(حكمة) قيل ثلاثة تذهب عن القلب العمى صحبة العالم . وقضاء الدين . ومشاهدة الحبيب . وقيل شيآن يجلبان الحزن الي القلب . الطمع في جود البخلاء . والمراء مع الوضعاء

(حكمة) قال الحكيم تجنب أربعة أشياء تخلص من أربعة أشياء تجنب الحسد لتتخلص من الحزن ولا تجالس جليس السوء وقد تخلصت من الملامة ولا ترتكب المعاصى وقد خلصت من النار . ولا تجمع المال وقد خلصت من العداوة

(حكمة) قال الحكيم أربعة أعمال مذمومة يعملها الناس فيجازون بها في الدنيا والآخرة . الغيبة فقد قيل فارس يلحق سريعاً . والثاني احتقار العلماء لان من احتقر عالما عاد حقيرا . والثالث كفران نعم الله عز وجل . والرابع قتل النفس بغير حق . وللاكابر والحكماء مثل قديم كل قاتل مقتول ولو بعد حين قال الشاعر

اذا مكنت بالسكين كفاً * لقتل الناس فاذكر السبيلا
رأي عيسي قتيلا فى طريق * فعض على أنامله طويلا
وقال لمن قتلت تراك حتي * غدوت كما أرى ملقى قتيلا
وقاتلك الذى أرداك أيضاً * يذوق القتل فليطل العويلا

﴿ الباب السادس فى شرف العقل والعقلاء ﴾

ان الله سبحانه وتعالي خلق العقل على أحسن صورة وقال له أقبل فاقبل

ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت في خلق شيأ أحسن منك بك آخذ وبك أعطي وبك احاسب وبك اعاقب * والدليل على صحة هذا أن الله تعالى على العباد شيئين وكلاهما موقوفان على العقل وهما الامر والنهي كما جاء في محكم التنزيل قوله جل ذكره (فاتقوا الله يا أولي الالباب) هم ذوو العقول * واشتقاق العقل من العقال . والمعقل المنيع القلعة على رأس الجبل لا يصل اليها يد أحد لامتناعها وقوتها واحكامها

سئل حكيم الفرس لم سمي العاقل عاقلا فقال للعاقل أربع علامات يعرف بها . وهي أن يتجاوز عن ذنب من ظلمه . وان يتواضع لمن دونه . وان يسابق الي فعل الخير لمن هوا على منه . وان يذكر ربه دائما وان يتكلم عن العلم ويعرف منفعة الكلام في موضعه واذا وقع في شدة التجأ الى الله تعالى . وكذلك الجاهل له علامات وهو أن يجور على الناس ويظلمهم ويعسف بمن دونه وان يتكبر على الزعماء والمتقدمين وان يتكلم بغير علم . وان يسكت عن خطا واذا وقع في شدة أهلك نفسه واذا رأى أعمال الخير لفت عنها وجهه

(حكمة) قال سعيد بن جبير ما رأيت للانسان لباسا أشرف من العقل ان انكسر صححه وان وقع أقامه وان ذل أعزه وان سقط في هوة جذبه بضبعه منها واستنقذه منها وان افتقر أغناه وأول شيء يحتاج اليه البليغ العلم الممتزج بالعقل كما جاء في الحكاية

(حكاية) يقال انه ما كان في خلفاء بني العباس أعلم من المأمون في جميع العلوم فكان له في كل أسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة الفقهاء وكان يجتمع عنده الفقهاء والمناظرون . والعلماء والمتكلمون . فدخل في بعض الايام الي

مجلسه رجل غريب عليه ثياب بياض رثة فجلس في أواخر الناس وقعد من وراء الفقهاء فى مكان مجهول فلما ابتدأوا فى المسائل وكان رسمهم يديرون المسألة على جماعة أهل المجلس فكل من وجد زيادة لطيفة أو نكتة غريبة ذكرها فدارت المسألة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فتكلم بكلام عجيب فاستحسنه المأمون فأمر أن يرفع الى أعلى من ذلك الموضع فلما دارت المسألة الثانية أجاب بجواب أحسن من أجوبة الفقهاء كلهم فأمر ان يرفع الى أعلى من تلك المرتبة ٠ فلما وصلت الثالثة أجاب بجواب أحسن وأصوب من الجوابين الاولين فأمر المأمون أن يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة أحضر الماء وغسلوا أيديهم ثم أحضر الطعام فاكلوا ثم نهض الفقهاء وخرجوا وقرب المأمون ذلك الرجل وأدناه وطيب قلبه ووعده بالاحسان اليه والانعام عليه ٠ ثم عبي مجلس الشراب ونضد وحضر الندماء الملاح ٠ ودارت الراح ٠ فلما وصل الدور الي الرجل نهض قائما وقال ان أذن أمير المؤمنين تكلمت بكلمة واحدة فقال قل ماتشاء فقال قد علم الرأي العالى زاده الله علوا ان العبد كان في المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلاس ٠ وان أمير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذى أبداه جعله مرفوعا على درجة غيره وبلغ به الغاية التى لم تسم اليها همته وان العبد اذا شرب الشراب تباعد عنه العقل وقرب منه الجهل وسلب أدبه فعاد الى تلك الدرجة ووقع أعين الناس كما كان ذليلا فان رأي الرأى العالي أن لايفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي أعزه بعد الذلة وكثره بعد القلة بمنه وفضله وكرمه ٠ وسيادته وحسن شيمه ٠ فعل متطولا ٠ وأنعم متفضلا ٠ فلما سمع المأمون منه ذلك مدحه وشكره وأجلسه فى رتبته ووقره ٠

وأمر له بمائة ألف درهم وحمله على فرس وأعطاه ثياب تجمل وكان كل مجلس يرفعه على جماعة الفقهاء حتى صار أرفع منهم درجة . وأعلى منزلة . وانما أوردنا هذه الحكاية لاجل نعت العقل لان العقل يوصل صاحبه الى درجة عالية . ومرتبة سامية . وان الجهل يحط صاحبه عن درجته ويهبط به من علو مكانته

(حكاية) يقال انه جاء فى بعض الايام رجل الى باب الخليفة المنصور فقال أيها الحاجب أعلم أمير المؤمنين ان بالباب رجلا من أهل العلم واسمه عاصم وهو يذكر انه كان فى الزمن الماضى بينه وبين أمير المؤمنين صحبة مدة سنة أو اكثر بالشام فى التعليم والدرس وقد وصل الآن للسلام . ولتجديد العهد بالامام . فلما عرفه الحاجب أذن له فلما دخل وسلم عليه ثقل قدومه ووصوله على قلب أبي الدوانيق لغثاثة منطقه وسوء أدبه فأجلسه وسأله وقال له فى أي حاجة قدمت فقال لرؤية أمير المؤمنين بوسيلة تلك الصحبة القديمة فأمر له بالف درهم فأخذها الرجل وانصرف ثم عاد بعد سنة أخري وكان قد مات للمنصور ولد وهو جالس فى العزاء فدخل الرجل وسلم عليه ودعا له فقال فيم قدمت قال أنا ذلك الرجل الذي كنت معك فى الشام وقد قدمت معزياً برزيتك . ومؤديا حق تعزيتك . فأمر له بخمسمائة درهم فأخذها ثم عاد بعد سنة أخرى فلم يجد حجة يحتج بها فى الدخول الا أنه دخل فى جملة الناس وسلم فقال له الخليفة لاي سبب وصلت فقال أنا ذلك الرجل الذي كنت معك في الشام فى التعليم والدرس وكتابة الاخبار واستماع الاحاديث وكنت قد كتبت معك دعاء الحاجة وأن كل من دعا به في حاجة قضي الله حاجته وقد ضاع مني ذلك الدعاء وقد أتيت أمير المؤمنين لاكتب نسخة ذلك الدعاء فقال له المنصور لا تتعب في طلب ذلك الدعاء فانه غير

مستجاب واني قد دعوت به منذ ثلاث سنين ليخلصني الله من صداعك فلم أخلص ولو كان مستجاباً لتخلصت منك فخجل ذلك الرجل لما سمع هذا الكلام . وانما أوردنا هذه الحكاية لان الانسان اذا كان عالماً ولم يكن له عقل سقط جاهه ومرتبته

(حكاية) كان فى ذلك العصر وصل رجل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الي المنصور بحكم الصداقة التى كانت بينهما قديماً فلما صار خليفة الزمان قدم عليه . ووفد اليه . وكان الرجل عاقلاً لبيباً ولم يكن عالماً . فلما رآه المنصور قربه وأدناه . وأزلفه واستدعاه . فقال له الرجل ياأمير المؤمنين أنا محب لك شديد المحبة والولاء مخلص فى الطاعة والدعاء . غير انى لا اصلح لخدمة الملوك فكيف ينبغي أن أزورك بحيث لا يظهر منى سوء أدب فقال المنصور أخر الزيارة واذا زرتني فاجعل بين زيارتك وانقطاعك مدة اذا غبت فيها لم أنسك واذا حضرت لم أملك وازدادت محبتك عندى عما كانت عليه أولا . واذا دخلت فاجلس بعيداً منى حتى يقربك الحاجب بالتدريج ولا تطل جلوسك فتنسب الي سوء الادب ولا تسأل حاجتك لئلا تثقل على قلبي .واذا أحسنت اليك فاشكرني فى كل محلة تحلها ومنزل تنزله بحيث اذا بلغنى سررت بشكرك . وازددت فى برك . ولا تذكر فى المجالس ما جرى بينى وبينك فى الزمان الماضي فامتثل الرجل هذه الوصايا فكان في كل سنة يمضى الي سلامه مرتين وكان المنصور يعطيه فى كل مرة يسلم عليه ألف درهم . وانما ذكرت هذه الحكاية ليعلم ان من كان له عقل وان لم يكن عالماً فان عقله يكون له دليلا . ومن كان ذا علم وليس له عقل عادت أموره كلها منعكسة منقلبة . ومن كان تام العقل والعلم كان فى الدنيا نبياً أو حكيما أو اماما فان جمال الانسان

وعزه ومرتبته وصلاح أحوال دنياه وآخرته بالعقل وتمامه * فتتكامل صفاته وأقسامه كما قال الشاعر

بالعقل ينال المرء أوج البدر * والعقل به الجاه وسامي القدر
والعقل به يغسل عار الوزر * فى العقل التاج مع نفاذ الامر

والعقل أول الايمان ووسط الايمان وآخر الايمان * قال بعض القدماء ليس العقل أن الانسان اذاوقع فى أمر اجتهد فى حسن خلاصه منه بل العقل أن لا يوقع نفسه فى أمر يحتاج الي الخلاص منه

(حكمة) قال ابرويز الملك لولده احفظ الرعية ليحفظك العقل واصرف آفتك عن الرعية ليصرف العقل آفته عنك . واعلم انك حكم بين الناس والعقل حكم جليل فكما ينبغي أن يقبل الناس أمرك فكذلك ينبغي أن تقبل أمر العقل

(حكمة) كتب يونان الوزير كتابا الي الملك العادل كسرى أنوشروان وأدي رسائل في باب العقل وما يأمر به العقل فشكره أنوشروان وأمر الكاتب أن يكتب اليه جوابا وقال أيها الحكيم لقد أحسنت فى تأدية رسالة العقل لانا ومن تقدمنا من الملوك انما تحلينا بالعقل فكيف يمكننا مخالفته فان العاقل أقرب الناس الي الله تعالي والعقل كالشمس فى الدنيا وهو قلب الحسنات والعقل حسن في كل واحد وهو فى الاكابر والزعماء أحسن كالرطوبة في الشجرة مادامت طرية رطبة كان الناس من رائحتها ونشر أزهارها وطيب ثمارها ونضارتها وطراوتها في سرور وغبطة ونزهة وفرحة فاذا جفت رطوبتها وتخلت نضارتها فلا تصلح حينئذ لسوي القلع وكذلك الانسان مادام عقله قويما . وجسمه سليما . صحبته مباركة ومواصلته حسنة نافعة فاذا زال عقله . وغلب

عليه جهله . فحينئذ لا يصلح للحياة . ولا يستره غير الوفاة

وقال أنوشروان كيف يسعني ان أخالف العقل ولا أفعل ما يأمرني به العقل وانه ليس للملك ولا رعية خير من العقل فان بضيائه يفرق بين المليح والقبيح والجيد والرديء والحق والباطل والصدق والكذب *قال بزرجمهر شيأن لا يمكن وجودهما في شخص كاملين العقل والشجاعة

(حكمة) قال لقمان الحكيم مهما كان الرجل عالما فانه لا ينتفع بعلمه مالم يكن العقل لعلمه مصاحبا

(حكمة) سأل أنوشروان بزرجمهر من تحب ان يكون أعقل الناس فقال العدو اذا عاداني فقال ولم قال لآمن اساءته وكل شيء اذا كثر هان الا العقل فانه كلما كان اكثر كان صاحبه أعز

(حكمة) قيل لبزرجمهر أي شيء لا بد للانسان منه ولا مندوحة له عنه فقال العقل فقيل له ما قدر العقل فقال شيء لا يوجد فى الانسان كاملا كيف يعرف قدره

(حكمة) قال بعض الحكماء جميع الاشياء مفتقرة الى العقل والعقل مفتقر الي التجربة ولا غنى أعم من العقل ولا فقر أشد من الجهل وكل من كان علمه اكثر كانت حاجته الي العقل أوفر * والمرء في هذا كراع ضعيف معه قطيع كبير *يضرب للعالم الذى لا عقل له

(حكمة) قالت العلماء العقل أمير وله جنود وجنوده التميز والحفظ والفهم وسرور الروح العقل لان به ثبات الجسم والروح سراج نوره العقل ثم ينبسط في جميع الجسد والعاقل لا يغتم أبداً لانه لا يفعل مايوجب الاغتمام ولا يشرع فى أمر لا يجوز لمثله الاهتمام به

(حكمة) سئل ابن عباس العقل أم الادب فقال العقل لان العقل من الله تعالي والادب تكليف من العبد * وسئل عبد الله بن المبارك العقل خير أم الادب فقال العقل فقيل له ما العقل فقال العقل تعلم العلم والعمل بالعلم ان تعلم انه ينبغي ان تعمل والعقل انك متي علمت عملت

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قسم الله لعباده خيراً من العقل ونوم العاقل خير من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خير من الجاهل الصائم . وضحك العاقل خير من بكاء الجاهل

(حكمة) قال رجل لاء قليدس لاأستريح أو أتلف روحك فقال أنا لاأستريح أو أخرج الحقد من قلبك

(حكمة) قال الحكيم كما تفوح من الميتة الرائحة المكروهة يفوح من الجاهل نتونة الجهل فتضر به وبجيرانه وأقاربه

(حكمة) سئل الحكيم ماالعقل فقال سداد وعقد بين ثلاثة وعشرين شيأ فلولا هذه العقود لاختلط الجيد بالردي . أولا هو عقد بين التوحيد والشرك . وبين الايمان والكفر . وبين الجد والتهور . وبين الاسلام والغفلة . وبين اليقين والشك وبين العافية والبلاء . وبين الكرم والبخل . وبين حسن الخلق والقباحة وبين التواضع والتكبر . وبين الصداقة والعداوة . وبين العلم والجهل . وبين الحياء والوقاحة . وبين الحق والباطل . وبين الرزانة والخفة . وبين الظلمة والضياء . وبين الكرامة والذلة . وبين الطاعة والمعصية . وبين ذكر الله تعالي والغفلة . وبين النصيحة والحسد . وبين السنة والبدعة . وبين الرحمة والقساوة . وبين الحلم والحمق

قال صاحب الكتاب رحمه الله تعالي جميع محاسن الدنيا فى العقل وسائر

العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء فى الحكاية

(حكاية) روى ان الريح حملت كرسى سليمان بن داود عليه السلام وجعلت تسير به فلاح لسليمان بلد فأمر الريح أن تحطه فنزل على باب ذلك البلد فرأى على بابه مكتوبا أجرة اجتهاد يوم واحد درهم. والحسن والجمال أجرتهمافى يوم مائتا مثقال وعلم ساعة واحدة لاتحصى قيمته وجميع الاشياء منوطة بالعلم والعلم أسير والتدبير مع العقل توءمان ومن آتاه الله العقل فقد آتاه خيرا كثيرا كما قال الشاعر

ان كنت من أصل جوهر منسوب * أو يوسف الحسن ولد يعقوب
ماأنت مجالس بعقلك المحبوب * في الناس سوي محقر معيوب

لتعلم أيها الاخ كنه العقل ونفاسته وعلو قيمته فيجب عليك أيها العاقل الحمد والشكر لواهب الشكر البارى جلت قدرته

﴿ الباب السابع فى ذكر النساء ﴾

خير النساء وأبركهن الحسناء الولود الخفيفة المهر * قال عليه الصلاة والسلام عليكم بالمرأة الحرة فانها أطهر وأبرك . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه التجئوا الي الله عز وجل من شرار النساء واحذروا خيارهن * قال صاحب الكتاب من أراد صلاحه وتدبيره ولم يجد المرأة الحسناء يلهو بها فعليه بالمرأة الدينة فذات الدين خير وأبرك واذا جاءت الديانة أتى المال وكان أبرك لان المرأة التى لادين لها فمالها أصل ولا معها بركة وببركة الديانة يوجد كل خير كما فى الحكاية

(حكاية) كان بمدينة مرو رجل اسمه نوح بن مريم وكان رئيس مرو وقاضيها وكان له نعمة كبيرة وحال موفورة وكانت له

ابنة ذات حسن وجمال . وبهاء وكمال . قد خطبها جماعة من الاكابر
والرؤساء وذوي النعمة والثروة فلم ينعم بها لاحد منهم وتحير في أمرها
ولم يدر لايهم يزوجها وقال ان زوجتها لفلان أسخطت فلانا وكان له غلام
هندي تقي اسمه مبارك وكان له كرم عامر الاشجار . والفاكهة والثمار .
فقال للغلام أريد أن تمضي وتحفظ الكرم فمضي الغلام وأقام في الكرم شهراً
فجاء سيده فى بعض الايام الى الكرم لينظره فقال له يامبارك ناولنى عنقود
عنب فناوله عنقوداً من العنب فوجده حامضاً فقال له سيده أعطني غير هذا
فناوله عنقوداً فوجده خامضاً فقال له سيده ما السبب في انك لا تناولنى من
هذا الكثير غير الحامض فقال لانى لا أعلم أحامض هو أم حلو فقال له
سيده سبحان الله لك في هذا الكرم شهر كامل ما تعرف الحامض من الحلو
فقال وحقك أيها السيد انني ما ذقته ولم أعلم أحامض هو أم حلو فقال له لم
لا أكلت منه فقال لانك أمرتني بحفظه ولم تأمرنى بأكله فما كنت أخونك
فعجب القاضي منه فقال له حفظ الله عليك أمانتك وعلم القاضى ان الغلام
غزير العقل فقال له القاضى أيها الغلام قد وقع لي رغبة فيك وينبغي أن تفعل
ماآمرك به فقال الغلام أنا مطيع لله ولك فقال القاضي اعلم أن لى بنتاً جميلة
وقد خطبها كثير من الرؤساء والمتقدمين ولا أعلم لمن أزوجها فأشر عليّ بما
تري فقال الغلام ان الكفار فى زمن الجاهلية كانوا يريدون الاصل والنسب
والبيت والحسب . واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال . وفى عهد
رسول الله صلي الله عليه وسلم كان الناس يطلبون الدين والتقى .أماوفى زماننا
هذا فالناس يطلبون المال فاختر من هذه الاربعة ما تريد فقال القاضي قد
اخترت الدين والتقي والامانة أريد أن أزوجك ابنتى لانى قد وجدت فيك

الصلاح والديانة والامانة . وجربت منك العفة والصيانة . فقال الغلام أيها السيد أنا عبد رقيق هندي أسود ابتعتني بمالك كيف تزوجني بابنتك وكيف تختارني ابنتك وترضاني فقال له القاضي قم بنا الى البيت لنتدبر هذا الامر فلما صارا الي المنزل قال القاضي لزوجته اعلمي أن هذا الغلام الهندي دين تقي وقد رغبت في صلاحه وأريد أن أزوجه ابنتي فما تقولين فقالت الامر اليك ولكن أمضي الى الصبية واخبرها وأعيد عليك جوابها فجاءت المرأة الي الصبية وأدت اليها رسالة أبيها فقالت مهما أمرتماني به فعلته ولا أخرج من تحت حكمكما ولا أعاندكما بالمخالفة بل أبركما فزوج القاضي ابنته بالمبارك وأعطاهما مالاً عظيماً فأولدها المبارك ولداً وسماه عبد الله وهو معروف في جميع العالم وهو عبد الله بن المبارك صاحب العلم والزهد ورواية الاحاديث فما دامت الدنيا يحدث عنه ويروى . نعم أيها الاخ اذا تزوجت فاطلب ذات الدين ولا تطلب ذات الصيت والمال فان المال يعود وبالاً ولا تعطيكه المرأة واذا أردت أن تطلب زوجة فلا تطلبها وتخطبها لاجل بلوغ الشهوة وارغب فيها بنية انها دينة وصالحة لتكون في خدرك وطاعتك وتكون لك ستراً من النار

(حكاية) نزل بعبد الله بن المبارك في بعض الايام عشرة من العلماء ولم يكن عنده ما يضيفهم به وما كان يملك سوي فرس يحج عليها سنة ويغزو سنة فذبح ذلك الفرس وطبخ منه وقدمه بين يدي أضيافه فقالت له زوجته سبحان الله ما كنت تملك سوى هذا الفرس من الدنيا فلم ذبحته فدخل سريعاً الي بيته وأخرج من متاع بيته بقدر مهرها وطلقها في وقته وساعته وقال امرأة تبغض الاضياف لا تصلح لنا فأتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال له ياامام المسلمين

لى بنت وقد توفيت أمها وهى في كل يوم تمزق دست ثياب حزنا وغماً واليوم
تريد أن تقصد مجلسك فقل فى تسليتها شيأ لعل قلبها يرق فلما جلس على المنبر
ذكر من هذا الباب ما تسلت به الصبية عن أمها فلما عادت الي البيت
قالت ياأبت قد تبت ولا أعود أسخط الله تعالي ولكن لي اليك حاجة قال
وما حاجتك قالت أنت تقول دائماً أرباب الاحوال وأبناء الدنيا يطلبونك
ويخطبونك فناشدتك الله لا تزوجني لغير عبد الله بن المبارك فان كان ماله
دنيا فان لنا دنيا فزوجها أبوها بعبد الله بن المبارك وحمل اليه جهازا كثيراً
ومالاً كبيراً وأنفذ اليه عشرة أفراس ليجاهد عليها فى سبيل الله فرأي عبد الله
في بعض الليالي في منامه قائلاً يقول ان كنت طلقت من أجلنا عجوزاً فقد
أعطيناك صبية بكراً وان كنت ذبحت فرساً واحداً فقد أعطيناك عشرة أفراس
عوضها لتعلم ان الحسنة بعشر أمثالها عندنا ولا يضيع عندنا أجر المحسنين وما
عاملنا أحد فخسر ولا يخسر كما جاء فى الحكاية

(حكاية) حكي أبو سعيد انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح وله زوجة
دينة تقية ذات رأي وحزم فأوحى الله تعالي الي نبي ذلك الزمان أن قل لذلك
العبد الصالح انى قدرت له أن يمضي نصف عمره بالغنى ونصفه بالفقر فان
اختار ان يكون غناه فى شبيبته اغنيناه وان اختار ان يكون فى شيخوخته قدرنا
له ذلك فيسترناه له فلما أعلم الرجل ذلك اخبر به زوجته وقال لها قد جاء خطاب
من الله تعالي وقص عليها ماسمعه وقال لها ماترين فقالت له الاختيار اليك
فقال الرجل قد رأيت الفقر في الشبيبة فاذا كنت شابا فقيرا احتملت وصبرت
عليه فاذا صرت كبيرا غنيا كان لي ما اتقوت به واشتغل بطاعة ربي وعبادته
فقالت المرأة أيها الرجل اذا كنا فى الشبيبة فى ضنك ولم نقدر على طاعة ربنا

تعالى ولم تصل أيدينا الي فعل الخيرات واعطاء الصدقات فالواجب ان نختار الغنا في زمان الشباب فيكون لنا شباب وغني وطاعة فنقدر حينئذ على عبادته باجسامنا وأموالنا فقال الرجل نعم مارأيت وكذلك نفعل فنزل الوحي على ذلك النبي عليه السلام فقال قل لذلك الرجل اذا آثرت طاعتنا واستفرغت جهدك فى عبادتنا واتفقت نيتك ونية زوجتك على طاعتنا فقد قضيت وقدرت ان أقضى جميع عمرك فى الغني وكن أنت وزوجتك على عبادتي ومهما رزقتكما فتصدقا به على بريتي ليكون لكما حظ الدنيا والآخرة

قال صاحب الكتاب وما أوردنا هذه الحكاية الا لتعلم قدر الزوجة الصالحة وما فيهامن النعمة من الله تعالى

﴿ فصل ﴾

واعلم ان ديانة المرأة وسترها نعمة من نعم الله تعالي على عبده وهيهات ان يقدر على المرأة العفيفة طامع كما جاء فى الحكاية

(حكاية) يقال انه اراد رجل فاسق ان يكابر امرأة عفيفة بالحرام فقال لها امضي وأغلقي أبواب الدار جميعها واحكمى اغلاقها فمضت المرأة ثم عادت فقالت قد أغلقت سائر الابواب وأوثقت اغلاقها سوى باب واحد فقال أي الابواب ذلك الباب فقالت تلك الابواب التى بيننا وبين الخلق قد أغلقتها وقد بقى الباب الذي بيني وبين الخالق جلت عظمته ماقدرت عليه ولا استطعت ان أغلقه وهو بحاله مفتوح فوقع في نفس هذا الرجل من هذا الكلام الهيبة فأخلص لله التوبة وأقلع عن ذنبه وعاد الى طاعة ربه الاعلى

(حكاية مثلها) يقال انه كان رجل علوى بسمرقند فى بعض الايام

قائما على باب داره فاجتازت عليه امرأة ذات حسن وجمال وكان الدرب خاليا فقبض العلوى على زند المرأة وجذبها الي داخل الدار وهمّ أن يفسد معها فقالت له المرأة أسألك مسألة اجبنى عنها وافعل مابدا لك فقال اذكرى ماتريدين فقالت اذا أنت وطئتنى حراما وحبلت منك وولدت ولدا هل يكون ذلك الولد علويا أوخبيثا عاميا فقال انه يكون علويا فقالت المرأة لاشك انك أنت من خبيثي العلويين ولو لم تكن خبيثا لم تفعل مثل هذا فخجل العلوي فى الحال ورفع يده عنها ونذر على نفسه لله نذرا انه لايعود ينظر الي امرأة محرمة عليه نظر فساد وينبغي أن يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على حرمه وناسه فان الحمية من الدين الى حد انه لايجوز للرجل الاجنبي أن يسمع دق المرأة الاجنبية بالهاون واذا دق رجل أجنبي باب الدار فلا يحل للمرأة أن تجيبه بلين وسهولة لان قلوب الرجال تتعلق بأقل الاشياء واكثرها وان كان لابد للمرأة أن تجيبه فلتضع أصبعها فى فمها ولتجبه ليصير صوتها شبيها بصوت العجائز ولا يجوز للنساء أن ينظرن الى الرجال الاجانب ولو كان المنظور أعمي * وجاء فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل الى بيت عائشة رضي الله عنها فرأي عبد الله بن أم مكتوم قاعداً النساء[1] فقال يا عائشة لا يحل للمرأة ان تقعد عند غير ذي محرم فقالت يارسول الله انه أعمي فقال ان كان لا يراك فانك ترينه

(حكاية) يقال ان الحسن البصرى رحمة الله عليه قصد زيارة رابعة العدوية رضي الله عنها فى جماعة من أصحابه فلما وصلوا الباب قالوا أتأذنين لنا في الدخول فقالت تمهلوا ساعة وجعلت الكساء بينها وبينهم سترا وأذنت

(١) كذا في الاصل ولعله بين النساء أو مع النساء اه

لهم قد دخلوا وسلموا عليها فأجابتهم من وراء الستر فقالوا لم علقت بينناوبينك سترا فقالت أمرت بذلك فى قوله تعالي فاسئلوهن من وراء حجاب وواجب على الرجل أن لاينظر الي امرأة أجنبية بحال فانه قبل أن يجازي به فى الآخرة يجازي به فى الدنيا كما جاء فى الحكاية

(حكاية) كان بمدينة بخاري رجل سقاء يحمل الماء الي دار رجل صائغ مدة ثلاثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة فى نهاية الحسن والجمال. والظرف والكمال .معروفة بالديانة . موصوفة بالستر والصيانه. فجاء السقاء على عادته يوما وقلب الماء في الباب وكانت المرأة قائلة في وسط الدار فدنا منهاوأخذ بيدها ولواها وفركها.وعصرها ثم مضي وتركها . فلما جاء زوجها من السوق قالت له أريد أن تعرفنى أي شئ صنعت اليوم فى السوق لم يكن لله تعالي فيه رضا فقال الرجل ماصنعت شيأ فقالت المرأة أن لم تصدقنى وتعرفني فلا أقعد في بيتك ولا تعود تراني ولا أراك فقال اعلمي ان فى يومنا هذا اتت امرأة الى دكاني فصنعت لها سوارا من ذهب فأخرجت المرأة يدهاووضعت السوار في ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها فتذكرت هذاالمثنوى

فى ساعدها سوار تبر وأرى * كالنار يلوح فوق ماء جاري

هل يخطر في هواجس الافكار * ماء وله منطقة من نار

ثم أخذت يدها فعصرتها ولويتها فقالت المرأة الله أكبر لم فعلت مثل هذا الحال.لاجرم أن ذلك الرجل الذي كان يدخل البيت منذ ثلاثين سنة ولم نر منه خيانة أخذ اليوم يدي فعصرها ولواها فقال الرجل الامان أيتها المرأة مما بدا مني فاجعليني فى حل فقالت المرأة الله المسئول أن يجعل عاقبة أمرنا الي خير فلما كان من الغد جاء الرجل السقاء وألقي نفسه بين يدي تلك المرأة

وتمرغ على التراب وقال ياصاحبة المنزل اجعليني في حل فان الشيطان أضلني وأغوانى فقالت المرأة امض فى حال سبيلك فان ذلك الخطأ لم يكن منك وانما كان من ذلك الشخص صاحب الدكان فاقتص الله منه فى الدنيا . وكذلك ينبغي أن تكون المرأة مع زوجها ظاهرها وباطنها واحد وتقنع معه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدي بعائشة وفاطمة رضى الله عنهما لتكون من أهل الجنة كما جاء فى الحكاية

(حكاية) كانت فاطمة رضى الله عنها تطحن بالجاروشة الى أن أدمت أناملها فشكت ذلك فى بعض الايام الى بعلها على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال قولى لابيك يبتع لك خادمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله انى مفتقرة الى خادمة تعينني على أشغالي . وتحمل عني بعض أثقالى فقال عليه الصلاة والسلام الا أعلمك ماهو خير لك من خادم وأعز من سبع سموات وسبع أرضين فقالت يارسول الله علمنى فقال صلي الله عليه وسلم اذا أردت النوم فقولي قبل منامك ثلاث مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر * وفى الاخبار انهم لم يكن لهم فى البيت الا كساء كانوا اذا غطوا به رؤسهم انكشفت أرجلهم * وفي الليلة التي كانت فاطمة عروسا وزفت الي على بن أبي طالب رضي الله عنه كان تحتهما جلد شاه وكانا ينامان عليه وماكان لفاطمة من متاع البيت سوى كساء ومخدة من أدم حشوها ليف لاجرم ينادى لها يوم القيامة ياأهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء

والمرأة تعز عند زوجها وتنمو محبتها فى قلبه باكرامها له وطاعتها لامره وقت خلوته ومجامعته لها وبحفظها منافعه واجتنابها مضاره وتربيتها ولده

واكتنانها في بيته وقلة خروجها من خدرها وأن تكون عنده عفيفة كاتمة للسر محتملة للامر وان تحفظ وقت طعامه ومهما علمت أنه يشتهيه اصطنعته بطلاقة وجه وبشر وان لاتكلفه حاجة ثقيلة وأن لاتكون لجوجة وأن تستر نفسها عند منامها وان تحفظ سر زوجها فى غيبته وحضوره

قال صاحب الكتاب وواجب على الرجال ان يؤدوا حق النساء العورات وان يحفظوا بهن من وجه الرحم والاحسان والمداراة ومن أحب ان يكون مشفقا على زوجته رحيما لها فليذكر عشرة أشياء من أحوالها لينصفها . أولها ان المرأة لاتقدر ان تطلقه بغير اذن وهو قادر على ذلك متي شاء . وانها لاتقدر أن تأخذ شيأ بغير اذنه وهو قادر على ذلك . وانها مادامت فى حباله لاتقدر على زوج سواه وهو يقدر على الزواج عليها . وانها لايجوز لها ان تخرج من البيت بغير اذنه وهو يجوز له ذلك . وانها لايمكنها ان تعزي وهو يمكنه ذلك . وانها تخاف منه وهو لايخافها . وانها تقنع منه بطلاقة وجه فى وجهها وبالكلام اللين وهو لايرضي بجميع احوالها . وانها تفارق امها وأباها وجميع أقاربها . وانها تخدمه دائما وهو لايخدمها دائما . وانها تتلف نفسها اذا كان مريضاً وهو لايغتم لو ماتت فلهذه الوجوه التي ذكرناها يجب على العقلاء ان يكونوا رحماء على النساء ولا يظلمونهن ولا يجوروا عليهن فان المرأة اسير الرجل ويجب على الرجال مداراة النساء لنقص عقولهن وبسبب نقص عقولهن لايجوز لاحد ان يتدبر برأيهن ولا يلتفت الى أقوالهن ومن اعتمد على آرائهن ودبر نفسه بمشورتهن كان كما جاء فى الحكاية

(حكاية) يقال ان خسرو بن أبرويز كان يحب أكل السمك فكان يوما جالسا وشيرين معه فجاء الصياد ومعه سمكة كبيرة فأهداها لخسرو ووضعها

بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئس مافعلت فقال ولم فقالت لانك اذا أعطيت أحدا من حشمك بعد هذا مثل هذه العطية احتقرها وقال أعطاني مثل ماأعطي الصياد فقال الملك لقد صدقت ولكن يقبح بالملك استرجاع ماوهبه وقد فات ذلك الامر فقالت شيرين أنا ادبر هذا الحال فقال وكيف ذاك فقالت تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أم أنثي فان قال أنثى فقل انما أردت ذكرا وان قال ذكر فقل انما أردت أنثي فنودى الصياد وكان ذا ذكاء وفطنة فقال خسرو هذه السمكة ذكر أم أنثى فقبل الصياد الارض وقال أدام الله اقبال الملك هذه السمكة خنثي لاذكر ولا أنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخري فمضي الصياد الي الخازن وقبض منه ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحني على الدرهم والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين لخسرو أرأيت الي خسة هذا الصياد وسفالته سقط منه درهم واحد فألقي عن عنقه ثمانية آلاف درهم وانحني على ذلك الدرهم فأخذه ولم يسهل عليه ان يتركه فكان يأخذه بعض غلمان الملك فحزد خسرو من ذلك ثم أعاد الصياد اليه وقال له ياساقط الهمة ألست بانسان وضعت مثل هذا المال عن عنقك لاجل درهم واحد وأسفت ان تتركه فكان يتبلغ به بعض الصعاليك فقبل الصياد الارض وقال أطال الله اقبال الملك لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي وانما رفعته عن الارض لان على أحد وجهيه اسم الملك وعلى وجهه الآخر صورته فخشيت أن يجيء أحد بغير علم فيضع قدمه عليه فيكون ذلك استخفافا باسم الملك وصورته فاكون أنا

المأخوذ بهذا الذنب فعجب خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى فعاد الصياد ومعه أثنا عشر ألف درهم وأمر خسرو مناديا ينادي لايدبر أحد برأي النساء فان من تدبر بآرائهن أو ائتمر بمشورتهن خسر درهمه درهمين

قال صاحب الكتاب رضي الله عنه عمارة الدنيا وتناسل بني آدم بالنساء والعمارة لاتصح بغير رأي وتدبير وقيل شاوروهن وخالفوهن ويجب على الرجل الفاضل المتيقظ ان يحتاط فى خطبة النساء وطلبهن وليزوج البنت لاسيما اذا بلغت لئلا يقع فى الغدر والعيب ومرض الروح وتعب القلب وعلى الحقيقة كلما ينال الرجل من البلاء والهلاك والمحن فبسبب النساء كما قال الشاعر

من فتنة النسوان قد يعصى الفتى الر * حمن أو يخشى من السلطان

اللص لولاهن لم يك بائعا * للروح منه بأرخص الاثمان

منهن قرع آدم مع يوسف * فى محكم التنزيل بالعصيان

وكذاك هاروت ببابل منكس * ومعلق بالشعر في جذعان

مجنون عامر هام من أجل النسا * فى السند باد عجائب النسوان

كل البلا منهن يأتي والوفا * منهن لايأتي مدي الازمان

تم الكتاب بحمد الملك الوهاب. والصلاة والسلام على خير البريات. سيدنا ومولانا ونبينا محمد سيد السادات وعلى آله وأصحابه عدد الاوقات والساعات اه

وكان تمام طبعه فى مطبعة الآداب والمؤيد بمصر القاهرة
يوم ١٢ رمضان المبارك سنة ١٣١٧


Bibliotheca Alexandrina
04266607